الدين .. والدجل
(٤)

دعاة ..
على أبواب جهنم

د. نور الدين أبو لحية

دار الأنوار للنشر والتوزيع

الدين .. والدجل

(4)

دعاة

على أبواب

جهنم

مقالات قصصية

د. نور الدين أبو لحية

الطبعة الأولى

1436 – 2015

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

المقدمة

من المغالطـات الكـبرى الـتي نـوهم بهـا أنفسـنا تصورنا أننا نعبد الله حينما نجـادل بكـل مـا أوتينـا من قوة عن أولئك الـدعاة والعلمـاء الـذين لا دور لهم إلا تخـريب حيـاة النـاس في الـدنيا، وجـرهم بسلاسـل الكذب والبهتان إلى جهنم في الآخرة..

وسـبب هـذه المغالطـة هـو إعراضـنا عن القـرآن الكريم، وتدبره، وتفعيله في الحياة..

ذلك أننا عندما نقرأ ما ورد من أوصـاف عن علمـاء بني إسرائيل، وأنهم السبب الأكبر في كـل مـا حصـل لهم من انحرافــات، نتصــور أن ذلــك خــاص ببــني إســرئيل، وأننــا أفضــل الأمم، وأن علماءنــا ليســوا كعلمائهم، وأن دعاتنا ليسوا كدعاتهم، وكأن سنة اللـه تسير مع جميع الأمم سيرا مطردا، ولا تتخلـف إلا في هذه الأمة، مع أن سنة الله لا تتبدل ولا تتغير: ﴿ سُـنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَـوْا مِنْ قَبْـلُ وَلَنْ تَجِـدَ لِسُـنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 62]

ولهذا فإنا في هـذه المقـالات القصصـية نحـاول أن نرسـم من خلال الواقـع والتـاريخ مشـاهد لعلمـاء لا يختلفـون عن علمـاء السـوء الـذين كـانوا في الأمم السابقة.

ونــرى أن التشــهير بهم واجب شــرعا، فلا يمكن للناس أن يتدينوا بالدين الأقوم الـذي أرادهم اللـه أن يتـدينوا بـه، وهم يـرون كـل حين من يحرضـهم على الدين الأعوج، ويدعوهم إليه بكل الوسائل.

ولسنا مبتدعين في هذا السـلوك، فرسـول اللـه ﷺ حـذرنا من علمـاء السـوء، وأخـبر أنهم سـبب الفتن، فقـال: (إنَّ أخـوف مـا أخـاف على أمَّتي كـلّ مُنـافق

عليم اللَسان)[1]، وقال: (إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الأئمَّة المضلُّون)[2]، وقال:(يخرج قوم من أمتي يقرءون القرآن ليست قراءتكم الى قراءتهم شيئا، ولا صلاتكم الى صلاتهم شيئا، ولا صيامكم الى صيامهم شيئا، يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية)[3]

بل إن رسول الله ﷺ أمرنا ألا نقف مكتوفي الأيدي أمامهم، بل دعانا إلى استعمال كل الوسائل للتحذير منهم، ففي الحديث: :(يخرج في آخر الزمان قوم كأن هذا منهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية، سيماهم التحليق، لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسيح الدجال، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، هم شر الخلق والخليفة)[4]

وتفعيل هذه الأحاديث في الحياة يدعونا إلى البحث والتحقيق عنهم بدقة، وعزل كل ما كتبوه أو دعوا إليه، حتى لا يتشوه دين الله الجميل بأهوائهم وفتنهم.. لأن ذلك لا يقل عن البحث عن الرواة السوء الذين كذبوا على رسول الله ﷺ إن لم يكونوا أخطر منهم، قال تعالى: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} [الأنعام: 21]

ولهذا، فإنا في هذه المقالات حاولنا أن نربط بين ما ورد في القرآن الكريم من حديث عن علماء

1) رواه الطبراني في الكبير والبزار ورواته محتج بهم في الصحيح.

2) رواه أحمد وغيره.

3) رواه مسلم وابو داود وابو عوانة.

4) رواه ابن أبي شيبة وأحمد والنسائي والطبراني في الكبير والحاكم.

السوء، وأدوارهم التخريبية في الأمم السابقة، وكيف ورث علماء السوء من هذه الأمة تلك الخلال، وراحوا ينفذونها بدقة.

وأول ما قاموا بتنفيذه لتصلح خططهم التخريبية أنهم وضعوا لأنفسهم حصانة تحميهم من النقد والرد والتحذير.. وأن لحومهم مسمومة، فكل من أكل منها مات، وكل من اقترب من ساحتهم سيعذب لا محالة، وستصيبه أنواع الآفات في الدنيا والآخرة..

وقد آتت تلك التحذيرات دورها للأسف، فالكثير يتجرأ على القرآن الكريم، فيعطله، ويشوهه، ويغير معانيه، ويتجرأ على رسول الله ﷺ، فيحوله إلى ما شاء له هواه.. لكنه إن جاء إلى أولئك العلماء تجده جاثيا بين أيديهم، ساجدا لهم، لا يتجرأ على أن ينبس ببنت كلمة في حقهم.. وهذا هو الشرك بعينه، والذي قال الله تعالى فيه: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} [البقرة: 165]، وقال: { وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ} [إبراهيم: 30]

انطلاقا من هذا، فإن المرحلة الأولى في التدين الصحيح تبدأ من التخلص من كل علاقة تربط المتدين بهذا الصنف من العلماء والدعاة، لأنهم الحجاب الأكبر الحائل بين الخلق والحق..

والمرحلة الثانية تنطلق من تحطيم هذه الأنداد التي صارت تعبد من دون الله، فلا يكفي أن يتدين المرء في نفسه، وهو يرى المخربين يشوهون دين الله، ويقضون عليه، وهو يتفرج، وكأن الأمر لا يعنيه.

والكثير للأسف من هؤلاء الساكتين ينطلقون من رعاية مصالحهم الشخصية، لأنهم يخافون أن يصطدموا مع المجتمع الخاضع لسيطرة علماء

السـوء، أو يخـافوا أن يجرحـوا أو يصـنفوا أو يحجـر عليهم..

وكـل هـذه المخـاوف لا قيمـة لهـا، لأن من ضـريبة التواصي بالحق التواصـي بالصـبر، ومن ضـريبة النهي عن المنكـر تحمـل أذى أصـحاب المنكـر، وقـد قـال رسـول اللـه ﷺ يصـف ذلـك: (سـيأتي على النـاس سـنوات خـداعات يصـدق فيهـا الكـاذب ويكـذب فيهـا الصادق ، ويؤتمن فيها الخـائن، ويخـون فيهـا الأمين ، وينطـق فيهـا الرويبضـة، قيـل: يـا رسـول اللـه ومـا الرويبضة؟ قال: (الرجل التافه ينطق في أمر العامة) (1)

1) رواه أحمد وابن ماجة.

من أصـــناف الـــدعاة إلى جهنم، والـــذين ذكـــرهم القـرآن الكـريم، وبين خطـرهم من يمكن أن يطلـق عليه لقب (اللاهثين)، وهو وصف قرآني دقيق لصـنف من الناس ركن إلى الـدنيا، واتبـع هـواه، وصـار يبحث عن الجماهيرية والشـهرة والمنصـب والمـال.. وصـار كل همه من تلك الآيات الـتي حفظهـا، والعلـوم الـتي درسها أن يقتنص قلوب الناس وجيوبهم ليرضى هواه ونزوته وغرائزه..

لن أسـتعجل فأصـف هـذا الداعيـة المجـرم، وإنمـا أتـرك القـرآن الكـريم الـذي لا تفـنى عجائبـه ليقـوم بذلك، يقول تعالى: { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَـا فَانْسَـلَخَ مِنْهَـا فَأَتْبَعَـهُ الشَّـيْطَانُ فَكَـانَ مِنَ الْغَـاوِينَ (175) وَلَـوْ شِـئْنَا لَرَفَعْنَـاهُ بِهَـا وَلَكِنَّهُ أَخْلَـدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْـهُ يَلْهَثْ ذَلِـكَ مَثَـلُ الْقَـوْمِ الَّذِينَ كَـذَّبُوا بِآيَاتِنَـا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [الأعـراف: 175، 176]

سـيرجع الكثـير منكم إلى كتب التفسـير، ويقولـون لي: ويلك.. هذه الآيـات نـزلت في بلعم بن بـاعوراء.. ذلك الشقي الذي وصفه مالك بن دينار، فقـال: (كـان من علمــاء بــني إســرائيل، وكــان مجــاب الــدعوة، يقدمونه في الشدائد، بعثه نبي الله موسى إلى ملــك مدين يدعوه إلى اللـه، فأقطعـه وأعطـاه، فتبـع دينـه وترك دين موسى، عليه السلام)(1)

وبعضهم يقول لي هو أمية بن الصلت.. فقد (اتصل إليه علم كثير من علم الشـرائع المتقدمـة، ولكنـه لم ينتفع بعلمه، فإنه أدرك زمان رسـول اللـه ﷺ، وبلغتـه أعلامه وآياته ومعجزاته، وظهرت لكل من له بصـيرة،

1) تفسير ابن كثير (3/ 507).

ومع هذا اجتمع به ولم يتبعه، وصار إلى موالاة المشركين ومناصرتهم وامتداحهم، ورثى أهل بدر من المشركين بمرثاة بليغة)[1]

وأنا لن أرد عليهم.. ولن أكذب ما قالوا، فالآيات الكريمة تصدق على بلعم بن باعوراء، وعلى أمية بن الصلت.. لكني فقط أريد أن أضيف مصداقا آخر لشخص رأيته بعيني، وسمعته بأذني.. هو أشبه الناس ببلعم وأمية.. وليس هناك من فرق بينهما إلا أن صاحبي من أمة محمد ﷺ.. والآخران من غيرها من الأمم.. وهذا ليس فرقا مهما، فالعدالة الإلهية المطلقة لا تفرق بين أمة وأمة.. { لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} [النساء: 123]

طبعا هذا المصداق الجديد الذي سأذكره لكم، ليس هو البلعم الوحيد، أو اللاهث الوحيد، بل يمكنكم أن تضيفوا بلاعم جددا، لنخرج موسوعة للاهثين الذين انسلخوا من القيم التي جاء بها دينهم.. وركنوا إلى الدنيا.. واتبعوا أهواءهم.. وقدموا الخدمات الجليلة للمشروع الشيطاني في تدمير الإنسان، وتدمير كل هدي يرفع الإنسان.

كان تاريخ اكتشافي لتفعيل تلك الآية الكريمة، وتشرفي برؤية أخ من إخوان بلعم بن باعوراء وأمية بن الصلت يعود إلى حوالي عشر سنوات من اليوم.. ومن ذلك الحين وأنا أرى اللاهثين يزداودون كل يوم عددا وعدة وركونا.. وكل يوم أراهم، وهم يوظفون في كل مشاريع التخريب التي تمر بها أمتنا..

وطبعا لن أقص عليكم الأحداث الواقعية بتفاصيلها، ولن أسمي لكم أي اسم.. فذلك لن يفيدكم.. وقد يضرني.. وإنما سأقص عليكم روح ما رأيت، واحكموا

1) تفسير ابن كثير (3/ 507).

بما شئتم.

في قريتنا المتواضعة كان لنا إمام بسيط ومحترم.. كـان في كـل جمعـة يقـدم لنـا بعض المواعـظ الـتي استطاع تحضيرها طيلة الأسبوع.. كان يحثنا فيها على التقوى والصدق وحسن الخلق.. وكان يذكرنا كل حين بمصيرنا الأبدي.. ويرسم لنـا خارطـة مفصـلة بـذلك.. وكان أكـثر النـاس يرضـون بـذلك، ويتـأثرون بـه على الرغم من أنه لم تكن للإمام تلك الفصاحة التي يظهر بها الخطباء على شاشات التلفاز..

لكنه ولتواضعه وأدبه وعفافه وزهده واهتمامه بأداء وظيفته على أحسن ما يكون كان محبوبـا عنـد عـوام النـاس، ولـذلك كـان الكثـير منهم يعينـه في تنظيـف المسـجد، وفي تنظيم الأطفـال الـذين يـداومون على الحضـور لحفـظ القـرآن الكـريم.. وغـير ذلـك من الخدمات التي يحتاجها المسجد.

ظللنا فترة على هذه الصفة إلى أن ظهر فينا بعض الأغنيـاء ورجـال الأعمـال الـذين بـدا لهم فجـأة أن يجمعـوا بين المـال والـدين.. وقـد فرحنـا بهم في مسجدنا كثيرا.. خاصة وأنهم غـيروا الـزرابي العتيقـة، وأبدلوها بزرابي جديدة، ثم غـيروا دورات الميـاه.. ثم غيروا صباغة المسجد، وأضافوا الكثـير من الزخـارف فيـه.. وقـد بـالغوا في ذلـك قليلا لأن الكثـير من أهـل القرية استبدلوا الجلوس الهـادئ في المسـجد للـذكر أو القراءة بالتجول في أنحائه ورؤية الزخاف والألوان والتعجب منها ومن جمالها.

مهما كان ذلك، فقـد كنـا راضـين عن هـؤلاء، نـدعو لهم كل حين بالثبات، وبأن يبـارك اللـه في أمـوالهم.. وكان إمـام المسـجد يفعـل ذلـك كـل جمعـة.. فكلمـا قـدموا خدمـة من الخـدمات ذكـرهم وشـكرهم ودعـا لهم..

لكن هــؤلاء الأغنيــاء لم يكفهم أن يغــيروا الحالــة المادية للمسجد، وإنمـا أرادوا أن يضـيفوا إلى القريـة أشــياء جديــدة لم تكن تخطــر على أعيــان القريــة وكبارها على بال..

في ذلك الاجتماع الذي ضم بعض الأغنياء من رجال الأعمال مع شيخ من كبار أهل القريـة وأعيانهـا جـرى هذا الحوار:

الغني: لقد مللنا من خطب هـذا الإمـام.. ففي كـل مرة يعيد نفس الكلمات، ويردد نفس المعاني..

الشيخ: وماذا تريده أن يقول.. وهل الدين سوى مـا يردده.. إنه يذكرنا بالتقوى والصدق والإخلاص وبإقامة الصلاة.. وأداء الواجبات.. ألا ترى هذا كافيا؟

الغني: بلى.. ولكن الناس يحبـون التجديـد.. يحبـون أن يسمعوا كل مرة شيئا لم يسمعوه من قبل.

الشيخ: وهل طبق الناس ما قاله حتى يطلبــوا منــه الجديد؟

الغـــني: أنت لم تفهمـــني.. نحن الآن في واقـــع مختلف.. وهناك الكثير من الدعاة الكبار الـذين بهـروا العالم بفصاحتهم وبلاغتهم وخطبهم.. فهم اليوم هنـا.. وغدا في أمريكا.. وبعد غد في أوروبـا..وهم يظهـرون على القنوات الكثيرة يفتون، ويخطبون..

الشيخ: عجبا.. هل هذا صحيح؟

الغني: أجل.. مشكلتك يا شيخ أنك إلى الآن لا تزال تعيش القــرون الوســطى.. فليس في بيتــك تلفــاز.. وحتى المذياع البسيط الذي تملكه ليس فيه إلا القناة المحلية اليتيمة، ولهذا لا تعرف العالم والتغيرات التي تحصل فيه كل يوم.

الشـيخ: أنـا لم أتعجب من تنقلاتهم وخطبهم وإنمـا أتعجب من قـدرتهم على الجمـع بينهـا وبين التحضـير للخطب والفتــاوى.. فلا يمكن لشــخص أن يتكلم في الدين إلا بعد البحث والنظر والاجتهاد.. ألا ترى إمامنـا كيف يبقى أسبوعا كاملا يحضـر في الكلمـات القليلـة التي يريد أن يقدمها لنا.. وفوق ذلك يـأتيني ويعرضـها علي قبل تقديمها.. ويستشـيرني في كـل كلمـة يريـد أن يطرحها.

ضحك الغني، وقال: ولم ذلك؟

الشيخ: لقد ذكر لي الإمام أنه يخاف أن يكون سـببا في أي فتنة قد تحصل في القرية.. ولذلك يراعي كل كلمة يقولها، وكل معنى يشير إليه.. وإذا مـا اسـتفتاه أي واحد منا تجده يذهب إلى الكتب المختلفة، ويسأل من يثـق فيهم من المشـايخ.. ثم لا يجيب إلا بعـد أن يدرس الفتوى من جميع الجوانب.

الغني: ذلك لجهله ومستواه الضعيف.

غضـب الشـيخ، وقـال: بـل ذلـك لورعـه وتقـواه.. فالـدين ليس لهـوا ولعبـا بحيث يمكن لأي شـخص أن يتحدث فيه..

الغني: لا بأس.. أنا لا أنكر أن إمامنا يحفـظ القـرآن الكريم حفظا متقنا.. ولهذا يملأ خطبـه بترديـد آياتـه.. ولا أنكر أنه درس العلـوم الشـرعية، ويفهمهـا.. ولكن هناك أشياء أخرى يحتاجها الناس غير هذه الأمور.

الشيخ: مثل ماذا؟

الغني: الناس يحتـاجون إلى رجـل فصـيح بليـغ يملأ خطبه بالمحسنات البديعية.. ويقرأ لهم كل حين أبياتـا من الشــعر العــذب.. ويخلــط معهمــا بعض الأحــداث والقصص.. وغيرها.. وكل ذلـك ممـا يـؤثر في النـاس

ويجعلهم يتدينون التدين الصحيح.

الشيخ: أتتهم دين الناس.. أنت تراهم بحمد الله يحرصون على الصلاة، ويؤدون الزكوات، وإذا ما أصاب أحد منا فاقة هرعوا إليه يواسونه بحسب ما أطاقوا.. نعم هم ليسوا بالمستوى المطلوب.. ولكن لهم بحمد الله من الصدق والإخلاص ما يغفر لهم ما قد يقعون فيه من أخطاء.

الغني: لن أجادلك في هذا.. وأنا وإخواني لم نأتك لأجله.. وإنما جئناك لأجل أمر نرجو أن توافقنا عليه.

الشيخ: ومنذ متى خالفتكم.. إن كان في الأمر مصلحة للقرية، فأنا وجميع القرية في خدمتكم.

الغني: نحن نريد أن نستضيف بعض الدعاة الكبار ممن يظهرون على القنوات الفضائية ليلقي خطبة في مسجدنا.

الشيخ: ولم يا بني.. ما دام هذا الشيخ يظهر في القنوات الفضائية.. فما الحاجة لإرهاقة وإحضاره.. يمكن للناس أن يشاهدوه عليها؟

الغني: أنت تعرف أن الخبر ليس كالعيان.. وأن من رأى ليس كمن سمع.

الشيخ: صدقت في هذا.. ولكن ألا ترى أن ذلك قد يفتن الناس.. فهم الآن راضون عن إمامهم، ويبكرون لسماع خطبه، ويستفيدون منها.. فإذا ما جاءهم بعد ذلك من يكون في أعينهم أفضل من إمامهم، زهدوا فيه، ورغبوا عنه، وأضر ذلك بهم..

الغني: لا تقل هذا.. فالناس يحبون التنوع.. وسوف لن يزهدوا في إمامهم، وسوف يظلون يستفيدون منه.. فلا تخف ولا تفزع، ولا تعطي الأمر كل هذا التضخيم.

الشيخ: لست أدري مـا أقـول لكم.. ولكن أتعلمـون التكاليف المادية التي يتطلبها إحضار هذا الشخص؟

الغني: لا عليك.. هذا نتحملـه نحن.. وسـوف نطلب من أهل القرية أن يقـدموا لـه بعض مـا يطيقـون من هـدايا.. فمن الحــرج أن نستضـيف عالمــا كبـيرا، ثم يخرج من عندنا صفر اليدين.

الشـيخ: إن كنتم تريـدون بهـذا العمـل وجـه اللـه.. فهناك الكثير من الفقراء.. وأولهم إمامنا.. ألا تعلمون أنه عمل عملية لابنه، كلفته مالا كثيرا، باع لأجلـه كـل ما يملك، واستدان فوق ذلك مـالا كثـيرا.. ولم يخبرنـا خشــية أن يحرجنــا.. ولم أعلم ذلــك إلا قبــل فــترة قصيرة.. فهلم بتلك الأموال نقدمها لهذا الإمـام ليسـد ديونه، ويترك التقشف الذي يعيشه..

الغـني: ألا تعلم أن هـذا الإمـام يتقاضـى مرتبـا من الدولة.. حسبه به.. وليحمد الله أنــه ينـال مرتبـا على عمل هين كعمله..

الشيخ: لست أدري ما أقول لكم.. ولكني أشعر أن قريتنـا الهادئـة البسـيطة لن تبقى هادئـة أو بسـيطة.. أشعر بالطوفان يكاد يغمرها.. والنيران تكاد تحرقها..

الغني: هكذا أنتم دائمـا.. كلمـا نريـد أن نتقـدم إلى الأمام تعيدوننا إلى الخلف.

الشيخ: أجيبوني.. ألستم تريدون أن تصرفوا مـالكم في سبيل الله، وتبحثون عن عمل خيري لذلك؟

الغني: بلى.. وإلا فما حاجتنا لتضييع أموالنا.

الشيخ: فأنا أدلكم على عمل خـير يمكنـه أن يخـدم القرية خدمة جليلة.

الغني: ما هو؟

الشـيخ: دعكم من المسـجد.. ومن دين النـاس.. فالدين لا يحتاج إلى كل تلـك التكـاليف الـتي تكلفـون بها أنفسكم.. هناك أمـر نحتاجـه في قريتنـا.. وبسـببه يوقف الآباء أبناءهم عن الدراسة.

الغني: وما هو؟

الشـيخ: أنتم تعلمـون أنـه لا توجـد ثانويـة بقريتنـا.. ولـذلك يضـطر أبناؤنـا إلى السـفر إلى المدينـة، والمعانـاة كـل يـوم لأجـل الدراسـة.. والكثـير منهم ينقطع عنهـا بسـبب ذلـك.. فلـو أنكم أنفقتم أمـوالكم في شراء بعض الحافلات التي توصل التلاميذ، ويكون لكم شـيء من ريعهـا، ويكـون لكم فـوق ذلـك أجـر عظيم.

الغني: ذلك شـيء آخـر.. وهـو ليس بالأهميـة الـتي يكتسيها إحضار الداعية الذي ذكرناه لك..

لم يجد الشيخ إلا أن يتركهم.. وهو يردد بحزن قوله تعالى: { فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْـرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} [غافر: 44]

ما هي إلا أيام قليلة حتى رأينا إعلانات كثيرة معلقة في كـل مكـان.. في قريتنـا وغيرهـا من القـرى المجاورة.. وعليها صورة للداعيـة الـذي تحـدثوا عنـه، وأمامها دعوة لحضور خطبة له يقدمها في المسـجد.. وأمامها طلب بسـيط من النـاس أن يكرمـوا الداعيـة بما يطيقون باعتباره ضيفا على القرية، وأنـه لا ينبغي أن يأخذ عنها أي صورة سيئة.

وجـاء اليـوم الموعـود، وحضـر الداعيـة الكبـير في مـوكب ضـخم من السـيارات.. وكـان معـه كـاميرات وأجهزة صـوت وإضـاءة وغيرهـا.. فتعجبت من ذلـك.. وزال عجبي حين علمت أن لهذا الداعية قناة فضائية، وأنه يسجل كل صغيرة وكبـيرة يفعلهـا، ثم يبثهـا على

قناته الفضائية التي تستقطب الملايين من الناس.

وصعد المنـبر وخطب خطبـة بليغـة مملـوءة شـعرا وسجعا ومحسنات بديعية..

وقد رأى أهل قريتنـا لأول مـرة شخصـا يلهث وهـو يخطب.. فقـد تعـودوا على إمـامهم الـذي كـان يقـرأ خطبته من الورقة بهدوء وتؤدة من دون أي تكلـف أو معانـاة.. لكن هـذا الخطيب الكبـير كـان يرفـع صـوته مرة، ويخفضه أخرى.. ويقرأ الشعر بطريقـة خاصـة.. ويسـرد القصـص بطريقـة مختلفـة.. ويلهث بين ذلـك كله كما تلهث الحيوانات التي ذكرتها الآية الكريمة.

وقد لاحظت أن الفريق الذي حضر معه كان يسجل كل ما يحصل مع الشيخ، فلا يغـادر صـغيرة ولا كبـيرة إلا أحصوها إلا أمرا واحـدا لم أرهم يسـجلونه، ولكـني سجلته بدقة في ذاكرتي، وحزنت بسببه كثيرا.

بعــد أن انتهى من خطبتــه اجتمــع النــاس حولــه، وأولهم الأغنياء ورجال الأعمـال، ثم راحـوا يصـطفون ليقدموا له الهدايا، ويأخذون صورا معه..

كانت الهدايا كثـيرة جـدا.. وغاليـة جـدا.. وكـان في إمكانهـا أن تـوفر للقريـة الكثـير من الحاجـات الـتي تفتقر إليها..

ولكنـه لجشـعه لم يكتـف بهـا، لقـد طلب من أهـل القرية البسـطاء أن يجمعـوا المـال لقناتـه الفضـائية، والـتي تفتقـر كـل شـهر إلى مبلـغ كبـير من المـال لتســديد حقــوق المــوظفين، والأقمــار الصــناعية، وغيرها..

وبالفعل جمع أهل القرية وخاصـة أغنيـاءهم لـه من المال ما أطاقوا.. واستمروا على ذلك فـترة طويلـة.. وقــد توقــف بســبب ذلــك دعمهم للجمعيــة الخــيرة

الوحيدة في القرية.

لم يكن هذا هو المشكل الوحيد الذي تسبب فيه هذا اللاهث.. لقد حصل ما هو أخطر من ذلك.

في الجمعة التي تلت حضور اللاهث كان عدد الحضور لخطبة الإمام قليلا جدا.. وبدأ العدد يقل ويقل إلى أن لم يبق مع الإمام سوى بعض الشيوخ الكبار.

ثم أسس الشباب مع الأغنياء مسجدا آخر.. وأحضروا له داعية تتلمذ على القناة الفضائية التي يديرها اللاهث..

وبدأ الخراب يعم القرية.. وبدأ الطوفان يغزوا بيوتها.. فصار الناس مثل جمر الغضا ممتلئين حقدا بعضهم على بعض.. وأصبحت المنابر الطاهرة محلا للعواصف والزوابع والأعاصير، وافتقد الناس الهدوء والسلام والطمأنينة..

ثم ما هي إلا فترة قصيرة حتى أعلنت الحرب.. واحترقت القرية بأهلها وخطبائها ومساجدها..

أما اللاهث.. فلم يسمع بما جرى.. وإنما كان ينتقل من قرية إلى قرية، ومن بلد إلى بلد يأخذ الهدايا والتحف، ويخلف العواصف والأعاصير.

الفرحون

من أخطر أصناف الناس الذين وقفوا في وجه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام - كما يذكر القرآن الكريم - من يمكن أن نطلق عليه لقب (الفرحين)

وهو لقب يمكن اشتقاقه بسهولة من قوله تعالى عند حكاية مواقف القرى من أنبيائها: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [غافر: 83]

وهي تعني بمنطوقها كما يقول ابن كثير: (لما جاءتهم الرسل بالبينات، والحجج القاطعات، والبراهين الدامغات، لم يلتفتوا إليهم، ولا أقبلوا عليهم، واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءتهم به الرسل)(1)

وتعني بمفهومها معاني كثيرة نراها في واقعنا.. لا من اللادينيين أو الملاحدة أو الحداثيين فقط.. وإنما من الذين يحسبون أنفسهم من أتباع الأنبياء، بل من الدعاة إليهم، بل من الناطقين باسمهم.

فمنهم الكثير من الذين يفرحون بهذه النسبة، ويغترون بها، ويتصورون أنها كافية للنجاة، بل لتسلم أرقى مدارج الفوز والفلاح.. ناسين أن الله سبحانه وتعالى أخبر عن سنته في خلقه، وأنه كما اختبر أقوام الأنبياء، سيختبر أتباعهم.. وأنه كما سقط في الاختبار أقوام الأنبياء، فيمكن أن يسقط في الاختبار من يزعمون أنهم أتباعهم.

فسنة الله في عدله واحدة، لا يفرق بين قوم وقوم، وبين ملأ وملأ، قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: 214]، وقال: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا

1) تفسير ابن كثير (7/ 160).

يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [التوبة: 16]

ولذلك من الأجدى لنا، ولعافيتنا في الدنيا والآخرة، وحتى لا نسقط في هذا الاختبار العظيم أن نبحث عن مصاديق تلك الآية الكريمة في نفوسنا ومجتمعاتنا قبل أن نلصقها بقوم هود أو قوم صالح.. ونكتفي بذلك.

وسأحكي لكم حكاية عن أحد هؤلاء الدعاة الكبار الذين يحسبون أنفسهم دعاة إلى الجنة، بينما هم - بالتصنيف القرآني - ليسوا سوى إخوان أو توائم لأولئك الذين واجهوا الرسل، وحاربوهم، واكتفوا بما عندهم من العلم، واغتروا به.

وطبعا لن أذكر لكم اسمه.. حتى لا تتصوروا أنني أخصص الحقائق القرآنية بالأسماء، فالقرآن أسمى من أن يخصص أو يقيد أو تغل معانيه بقيود التأويل والتفسير..

لم يكن الداعية من قريتنا البسيطة المتواضعة، وإنما كان من مدينة من المدن الكبرى، وكان يجالس الأمراء والملوك، ويأكل أصناف الطيبات معهم، وكان أحب الطعام إليه المضيرة(1).. وما أدراكم ما المضيرة..

وقد صار له بفضل الهدايا وأخواتها قصر كقصور الأمراء، وخدم كخدمهم.. وجشع لا يختلف كثيرا عن جشعهم.

وكان الذي دعاه إلى قريتنا نفر من الناس.. قد

1) هي أن يطبخ اللحم باللبَن البحت الصَّريح الذي قد حَذَى اللسان حتى يَنضَجَ اللحم وتَخثُرَ المضيرة.. وقد كان معاوية يقدمها للمقربين منه.

يطلق عليهم بالمصطلح القرآني لقب (الملأ).. فقد كانت لهم ثروة وجاه وعلاقات كبرى ببعض البلاد التي تصدر الذهب الأسود، وتصدر معه فهمها الأسود للدين والحياة.

وسبب دعوتهم له – كما علمت ذلك من مصادر موثوقة - أنه ظهر في قريتنا بعض طلبة العلم ممن تحررت عقولهم من قيود التقليد، فراحوا يحققون في تعاليم الدين ليميزوا الإسلام الأصيل من الإسلام الدخيل، وليفصلوا بين الخبيث والطيب.. وقد استنتجوا من خلال بحثهم الطويل والمعمق أنه لا يمكن للإسلام الأصيل أن تقوم قائمته من غير استئصال لمنابع الخبث التي حرفت الدين، وحولته عن مساره الصحيح.. وقد صادفوا في أثناء بحثهم حديثا لرسول الله ﷺ انطلقوا منه، وهو قوله ﷺ: (أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية)(1)

وقد راحوا يبحثون في مصداق هذا الحديث عبر المناهج المختلفة، فاستقر رأيهم بعد البحث والتنقيب على أن معاوية هو الشخص الوحيد الذي تصدق عليه جميع المواصفات التي وردت في الحديث..

فراحوا لذلك يبحثون في سيرته، وتشويهاته للدين.. وقد أثار ذلك حفيظة الملأ من أهل قريتنا، فحذروهم بكل صنوف التحذير، وكلفوا خطباء المساجد بأن يخطبوا الخطب الطويلة في فضائل معاوية وخدماته للدين..

---

1) قال الألباني في (السلسلة الصحيحة) 4 / 329 : أخرجه ابن أبي عاصم في (الأوائل) : حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا عوف عن المهاجر أبي مخلد عن أبي العالية عن أبي ذر أنه قال ليزيد ابن أبي سفيان : سمعت رسول الله ﷺ، فذكره. قلت : و هذا إسناد حسن ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير المهاجر و هو ابن مخلد، أبو مخلد ، قال ابن معين : (صالح). و ذكره ابن حبان في (الثقات).. قلت : فمثله لا ينزل حديثه عن مرتبة الحسن. و الله أعلم. و لعل المراد بالحديث تغيير نظام اختيار الخليفة ، و جعله وراثة. و الله أعلم)

ولكن كـل ذلـك لم يجـدي.. فقـد كـانت المعـاني والأدلة التي وصل إليها الباحثون المتحررون أكبر من أن تـرد عليهـا تلـك الخطب الممجوجـة المملـوءة بالجعجعة التي لا طحين فيها.

فاسـتقر رأيهم أن يجمعـوا من المـال مـا أطـاقوا، ويحضـروا بعض الـدعاة النجـديين الكبـار.. ممن لهم صـيت وعلم.. لعلهم يفيـدون القريـة، ويحرروهـا من أفكار المتحررين.

وجاء اليوم الموعود، وتـزينت القريـة بكـل أصـناف الزينـة، وحضـرت أطبـاق المضـيرة ليتناولهـا النـاس جميعا، لعلهـا تحـدث فيهم من التـأثير مـا أحدثتـه في الأيام الخوالي.

واجتمع الناس حول الداعية النجدي الكبـير، والـذي بدأ حديثـه بقـراءة قولـه تعـالى: { مُحَمَّدٌ رَسُـولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَـهُ أَشِـدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَـاءُ بَيْنَهُمْ تَـرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُـونَ فَضْـلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْـوَانًا سِـيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ} [الفتح: 29]

وكنا نتصور أنه سيحدثنا عن الصـحابة الـذين اتفقت عليهم الأمة جميعا بسـنتها وشـيعتها، والـذين تـوفرت فيهم كل هذه الخصـائص بدقـة عاليـة.. وبـذلك ينتفي الخلاف، وتزول الفتنة..

لكنـه أبى إلا أن يجعـل هـذه الآيـة الكريمـة، وكأنهـا نزلت خصوصا في معاوية بن أبي سفيان، وقد توسل لذلك بكـل أنـواع الحيـل والـدهاء الـتي اسـتفادها من الشخص الذي يدافع عنه.

بعد أن أنهى محاضرته قام بعض الحضور، وقد كان من الباحثين المتحررين الذين ذكرتهم لكم، فقال: لن أجادلـك – يـا شـيخ - في الآيـة الكريمـة.. وفي سـبب نزولها.. فقد يكـون معاويـة أحـدهم.. ولكـني أريـد أن

أسألك عن حديث لرسول الله ﷺ.. فقد ذكر لنا أنك مختص في الحديث.

شعر الفارح بسرور عظيم، وقال: صدقت.. أنا مجاز في الكتب الستة وفي المسانيد والمعاجم والمستخرجات وكل ما تراه من كتب الحديث..

قال الرجل: بورك لك في إجازاتك وفي علومك..

قاطعه الفارح، وقال: نسيت.. لدي كذلك إجازات بشروح متون الحديث، فأنا أرويها عن أصحابها بسندي لا من خلال الكتب المطبوعة.. فلدي سند عال إلى النووي وابن حجر وابن بطال والشوكاني.. وكل من تراهم من المحدثين.. بالإضافة إلى أني نلت إجازة في جميع كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وخصوصا كتابه (منهاج السنة)

قال الرجل: بورك لك في كل ذلك.. ولذلك أرى أنك أحسن من سيحدثني عن هذا الحديث الذي طالما أرقني، وزرع الشبهات في نفسي.. وبسببه اتهمني بعض قومي بالمروق.. ولعلهم يكونون صادقين في ذلك.

قال الفارح: فهلم به..

قال الرجل: لقد قرأت حديثا عن ابن عباس يقول فيه: كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله ﷺ فتواريت خلف باب ، قال : فجاء فحطأني حطأة وقال : اذهب وادع لي معاوية ، قال فجئت فقلت : هو يأكل ، قال : ثم قال لي : اذهب فادع لي معاوية ، قال : فجئت فقلت : هو يأكل ، فقال : لا أشبع الله بطنه(1).. فما تقول في هذا الحديث؟

شعر الفارح ببعض الغيظ من السؤال، لكنه تمالك

1) رواه مسلم (2604).

نفسه، وقال بكل بـرودة: نعم الحـديث صـحيح.. فقـد رواه مسلم.

ضـجت القاعـة، وأخـذ الحضـور ينظـر بعضـهم إلى بعض، ويتساءلون: هـل حقـا هـذا الحـديث صـحيح؟.. وهل كانت كل تلك الفضائل الـتي ذكرهـا في شـخص هذه صفاته..؟ وهل يجـرؤ أحـد من النـاس على عـدم إجابة رسول الله ﷺ لأجل بطنه؟.. كيف يسـتقيم هـذا ونحن في آخـر الزمـان نجـد من يـبيع كـل من يملـك لزيارة قبر رسـول اللـه ﷺ، ويتحمـل في سـبيل ذلـك كل أنواع المعاناة؟

ضرب الفارح بيده على الطاولة التي يجلس عليهـا، وهـو يقـول: اصـبروا.. فللحـديث وجـوه من التأويـل والفهم لا يمكن لأي كـان أن يـدركها.. فهـذه أحـاديث رسول الله ﷺ..

لقد ظن بعض المبتدعة أن هذا الحديث من مثـالب معاوية، بئس ما صنعوا ، بل الحديث منقبة من مناقبه الكـبرى، وخصيصـة من خصائصـه العظمى، فلم يـدع رسول الله ﷺ لأحد بهذه الدعوة إلا معاوية.

وقد ورد في روايـة الطيالسـي في تأويـل (لا أشـبع الله بطنه) عن بعض السـلف، وهـو يـونس بن حـبيب قوله: (معناه والله أعلم : لا أشبع الله بطنه في الدنيا حتى لا يكون ممن يجوع يوم القيامة ، لأن الخـبر عن النـبي ﷺ : (أطـول النـاس شـبعا في الـدنيا أطـولهم جوعا يوم القيامة)

انظروا هذا الفهم السديد للحديث..

ومثله موقف الحافـظ الجهبـذ ابن كثـير الـذي كـان مدركا وواعيا لقيمة هذا الحديث، ولـذلك فهمـه الفهم المناسب، فقد ذكر في (البداية والنهاية) عند ترجمتـه لخال المؤمـنين معاويـة بن أبي سـفيان قولـه: (وقـد

انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخـراه.. أمـا في دنياه: فإنه لما صار إلى الشام أمـيرا، كـان يأكـل في اليوم سبع مرات يجاء بقصعة فيها لحم كثـير، وبصـل فيأكل منها ، ويأكل في اليوم ســبع أكلات بلحم، ومن الحلوى والفاكهة شيئا كثيرا ، ويقول : والله مـا أشـبع وإنمـا أعيـا، وهـذه نعمـة ومعـدة يـرغب فيهـا كـل الملـوك.. وأمـا في الآخـرة : فقـد أتبـع مسـلم هـذا الحديث بالحديث الذي رواه البخاري وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصحابة.أن رسول الله ﷺ قـال: (اللهم إنمـا أنـا بشـر فأيمـا عبـد سـببته أو جلدتـه أو دعـوت عليـه وليس لـذلك أهلا فاجعـل ذلـك كفـارة وقربة تقربه بها عندك يوم القيامة)

انظروا هذا الفهم السـني السـلفي لحـديث رسـول الله ﷺ.. وقد أيـده النـووي فقـال: (وقـد فهم مسـلم رحمـــه اللـــه من هـــذا الحـــديث أن معاويـــة لم يكن مستحقا للدعاء عليه ، فلهذا أدخله في هـذا البـاب ، وجعله غيره من مناقب معاوية لأنه في الحقيقة يصير دعاء له)[1]

قام شيخ كبير من أعيان القرية، وقال: هل يمكنــك سيدي أن تكرر لنا الحديث الأخير الذي ذكرته؟

أعاد الشيخ النجدي الحديث، فقال الشـيخ: ألا تـرى سـيدي أن هـذا الحـديث لا يتناسـب مـع كـرم أخلاق رسول الله ﷺ.. إن القرآن الكريم وصـف لنـا رسـول الله ﷺ فقال: { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } [القلم: 4]

وذكر رحمته ولطفه ولينه، فقال: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّـوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: 159]

بـل إن اللــه تعـالى سـماه باسـمين من أسـمائه

---

1) المنهاج: (16/156).

الحسنى، فقال: { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: 128]

بل إن الرواة الذين تعرفهم حدثونا أن رسول الله ﷺ أجاب من سأله: (هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟)، قال: (لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال، ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئا)[1]

ونحن نتعجب: هل رسول الله ﷺ الذي يسارع إلى اللعن والدعاء على من يغضب عليه هو نفسه هذا الرؤوف الرحيم الذي لم يدعو على المشركين الذي بالغوا في إيذائه.

كان في إمكان النجدي لو لم يكن من الفرحين أن يتراجع بسهولة عن خطئه، وأن يفكر في الدليل، أو أن يشكر المتحدث، ويرحم كبر سنه، أو يعتذر لرسول الله ﷺ من السبة العظيمة التي رماه بها.

كان في إمكانه أن يفعل مثلما فعل السحرة عندما رأوا الدليل، فيسلم له.. لكنه لم يفعل.. ومثله لن يفعل..

1) صحيح البخاري (4/ 115).

بـل راح يسـتعين بكـل الشـياطين لـيرد عن هـذه الحجة الدامغة، ولو بالتقليل من شأن رسول اللـه ﷺ نفسه.. فحرمة معاوية عنده أعظم من حرمة رسـول الله ﷺ.

تظـاهر الفـارح بالهـدوء مـع أنـه في أعماقـه كـان كالمرجـل، وراح يقـول: ليس من السـهولة لمثلـك يـا شـيخ أن يـورد مثـل هـذه الترهـات.. فالـدين لا يفهم بالعقل.. الدين أعظم من أن يكون كلأ مباحا لكل من هب ودب ليتكلم فيه..

أمـا الشـبهة الـتي عرضـتها، والـتي يدنـدن حولهـا الضـالون والمبتدعـة فمن السـهل الـرد عليهـا.. وقـد أجـاب العلامـة الألبـاني عليهـا بقولـه في السلسـلة الصـحيحة (1/123 – 124): (قـد يبـادر بعض ذوي الأهـواء أو العواطـف الهوجـاء إلى إنكـار مثـل هـذا الحديث ؛ بزعم تعظيم النبي ﷺ، وتنزيهـه عن النطـق بـه! ولا مجـال إلى مثـل هـذا الإنكـار ؛ فـإن الحـديث صـحيح ، بـل هـو عنـدنا متـواتر ؛ فقـد رواه مسـلم.. وتعظيم النـبي ﷺ تعظيمـا مشـروعا ، إنمـا يكـون بالإيمان بكـل مـا جـاء عنـه ﷺ صـحيحا ثابتـا ، وبـذلك يجتمع الإيمان بـه ﷺ عبـدا ورسـولا ؛ دون إفـراط ولا تفريط ، فهو ﷺ بشر بشهادة الكتاب والسنة ، ولكنـه سـيد البشـر وأفضـلهم إطلاقـا بنص الأحـاديث الصحيحة ، وكما يدل عليه تاريخ حياته ﷺ وسيرته)

نظر إلى الحضور، وكأنه ينتظـر تكبـيرا على الحجـة العظيمة الـتي أوردهـا، لكن أهـل قريتنـا البسـطاء لم يفهموا منها شيئا، لأنه لم يكن فيها أي شيء.

لم يشأ شباب القرية المتحـررون أن يجـادلوه، بـل راح أحـدهم يسـأله بقولـه: لقـد روينـا في بعض كتب الحديث أن معاوية لما قـدم المدينـة لقيـه أبـو قتـادة الأنصاري فقال: تلقاني الناس كلهم غيركم يـا معشـر

الأنصار فما منعكم أن تلقوني؟ قال: لم تكن لنا دواب، قال معاوية: فأين النواضح؟ قال أبو قتادة: عقرناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر، ثم قال أبو قتادة: إن رسول الله ﷺ قال لنا إنا لنرى بعده أثرة، قال معاوية: فما أمركم؟ قال: أمرنا أن نصبر حتى نلقاه، قال: (فاصبروا حتى تلقوه!)(1).. فهل الحديث صحيح؟

قال الشيخ النجدي: أجل.. ولدي فيه إسناد عال إلى مصنفه عبد الرزاق.. وقد ورد في كثير من مصادر الحديث كشعب الإيمان للبيهقي والاستيعاب لابن عبد البر وغيرها..

تعجب أهل القرية من الحديث، ومن إقراره بصحته، فقام بعض الشيوخ، وقال: ألا ترى سيدنا أن معاوية يستهزئ ويسخر من حديث رسول الله ﷺ للأنصار؟.. ألا ترى في قوله: (فاصبروا حتى تلقوه!) نوعا من الجحود واللامبالاة؟

قال الشيخ النجدي: أنا لا أرى شيئا من ذلك.. بل أراه داعية مصلحا هاديا.. فقد راح يذكر الأنصار بنصيحة رسول الله ﷺ حتى لا ينسوها.

قام شاب من المتحررين، وقال: ألا ترى سيدي أن الحديث يدل على أن لمعاوية موقفا سلبيا من الأنصار، وكتب الحديث والتاريخ تثبت أنه كان من أكبر مبغضي الأنصار، وله معهم مواقف كثيرة في قطع العطاء وذمهم وهجائهم وظلمهم والوصية بسفك دمائهم التي كان من نتائجها مجزرة الحرة؟

قال: بلى.. وما في ذلك.. فقد ناوؤوه وحاربوه وكانوا في صف أعدائه، والطبع العادي لأي إنسان هو أن يقف موقفا سلبيا ممن أظهر له العداوة.. والدين

1) مصنف عبد الرزاق - (ج 11 / ص 60).

لم يأمرنا بأن نخرج عن طباعنا.

قال الشاب: ولكن رسول الله ﷺ ذكر من علامات المنافقين بغض الأنصار، فقد ورد في الصحيحين قوله ﷺ في الأنْصَار: (لا يُحِبُّهم إلاَّ مؤمن ، ولا يبغضهم إلاَّ مُنافق ، مَن أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله)

قال الفارح: الجواب على هذا سهل جدا، فمن حيث السند فإن هذا الحديث وإن روي في الصحيحين إلا أن من رواته عدي بن ثابت، وقد قال عنه أبو حاتم : صدوق ، وكان إمام مسجد الشيعة وقاصّهم.. وقال عنه الإمام الذهبي في كتابه (الكاشف): (ثِقَة ، لكنه قَاصّ الشيعة وإمام مسجدهم بالكوفة)

وأما من حيث المتن، فالمراد هو بغض الأنصار لكونهم أنصارا، أو لأجل نصرتهم للنبي ﷺ لا لأجل شيء آخر، وقد كان بغض معاوية لهم كما ذكرت لكم لأجل موقفهم من بيعته وبيعته ابنه يزيد.. وهو ولي الأمر، ويحتاج إلى ضبط الأمور.

قام شاب آخر، وقال: فقد ورد في أحاديث كثيرة في الصحاح ما يدل على أن معاوية كان يسب عليا ابن أبي طالب، وكان يأمر بسبه على المنابر، وقد ورد في الحديث ما يدل على أن مبغض علي من المنافقين، فقد روى أحمد عن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: (لا يحبك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق)

وروى عن ابن عباس قال : بعثني النبي ﷺ، إلى علي بن أبي طالب فقال : (أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة ، من أحبك فقد أحبني ، وحبيبك حبيب الله ، وعدوك عدوي ، وعدوي عدو الله ، الويل لمن

أبغضك بعدي)[1]

وروي مـا يـدل على أن الصـحابة كـانوا يمـيزون المنـافقين عن غـيرهم بمـوقفهم من علي بن أبي طالب، وقد حدث جـابر بن عبـد اللـه قـال : (مـا كنـا نعرف منافقينا معشر الأنصار ، إلا ببغضهم عليا)[2]

اغتاظ الفارح كثيرا من كلام الشاب، لكنه حاول أن يتدارك الموقف، فقال بابتسامة ساخرة: لم أراك أيها الشاب متحمسا هكذا؟.. الأمر أيسر بكثير.. ولـو أنـك قرأت ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية حول الأحـاديث الواردة في هذا الباب، لعلمت أن الأمر لا يستحق كل هذه الحماسة.

أما من حيث السند، فقـد ذكـر شـيخ الإسـلام هـذه الأحاديث، فقال: (أصح مما يروى عن علي، أنه قـال: إنه لعهد النبي الأمي إلي أنـه لا يحبـني إلا مـؤمن، ولا يبغضني إلا منافق)، فإن هـذا من أفـراد مسـلم، وهـو من رواية عدي بن ثابت، عن زر بن حـبيش عن علي، والبخـاري أعـرض عن هـذا الحـديث، بخلاف أحـاديث الأنصـار، فإنهـا ممـا اتفـق عليـه أهـل الصـحيح كلهم: البخاري وغـيره، وأهـل العلم يعلمـون يقينـا أن النـبي قاله، وحديث علي قد شك فيه بعضهم[3])[4]

وأما من حيث المتن: فقد قال شـيخ الإسـلام فيـه: (علامات النفـاق لا تختص بحب شـخص أو طائفـة ولا بغضهم، إن كـان ذلـك من العلامـات. ولا ريب أن من أحب عليا لله بما يستحقه من المحبة للـه، فـذلك من

1) فضائل الصحابة 2 / 642.

2) فضائل الصحابة 2 / 639.

3) انظروا هنا التشكيك في حديث في صحيح مسلم، مع أنه لو فعل ذلك شخص آخر غير ابن تيمية لقامت عليه القيامة.

4) منهاج السنة النبوية (7/ 147)

الدليل على إيمانـه، وكـذلك من أحب الأنصـار ، لأنهم نصروا الله ورسوله، فـذلك من علامـات إيمانـه، ومن أبغض عليـا والأنصــار لمــا فيهم من الإيمــان باللــه ورسوله والجهاد في سـبيله ، فهـو منـافق.. وأمـا من أحب الأنصار أو عليا أو غيرهم لأمر طبيعي مثل قرابة بينهمـا، فهـو كمحبـة أبي طـالب للنـبي ﷺ، وذلـك لا ينفعـه عنـد اللـه ومن غلا في الأنصـار، أو في علي أو في المسيح أو في نبي فأحبه واعتقد فيه فوق مرتبته فإنه لم يحبه في الحقيقة، إنما أحب مـا لا وجـود لـه، كحب النصـارى للمسـيح، فـإن المسـيح أفضـل من علي.. وهذه المحبـة لا تنفعهم، فإنـه إنمـا ينفـع الحب لله، لا الحب مع الله)(1)

قام الشاب، وقـال: مـا دام الأمـر بهـذه السـماحة، وأنـه كمـا قـال ابن تيميـة: (علامـات النفـاق لا تختص بحب شـخص أو طائفــة ولا بغضــهم)، فلم تعتــبرون الكلام في بعض الصـحابة أو انتقـادهم كفـرا ونفاقـا، وبســببه تخرجــون طائفــة كبــيرة من النــاس من الإسلام؟

امتعض الفارح، ولكنه نظر إلى الوجوه، وهي تحدق فيـه وتنتظـر جوابـه، فقـال: الأمـر ليس كمـا تظن.. لتفهم هـذا تحتـاج إلى علـوم كثـيرة ليس الآن محـل ذكرها.

قــام شــاب آخــر، وقــال: لقــد ورد في الروايــات الصـحيحة سـب معاويـة لعلي بن أبي طـالب(2)، بـل

1) منهاج السنة النبوية (7/ 148)

2) الأدلة كثيرة على ذلك، ومنها ما رواه مسلم في فضائل الصحابة رقم الحديث : (4420)، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه قال : أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً ، فقال : ما منعك أن تسب أبا التراب ، فقال : أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي : من حمر النعم سمعت رسول الله يقول له خلفه في بعض مغازيه ، فقال له علي يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان ، فقال له رسول الله ﷺ

قتاله له، فلم لم تطبق عليه أحكام سب الصحابة، أم أن ذلك خاص بعلي بن أبي طالب دون غيره؟

غضب الفارح، ولم يستطع أن يكظم غيضه، وقال بقوة: أشم في هذا المجالس رائحة الرفض، ورائحة الرافضة المنتنة.. هم وجدهم الذين يوردون أمثال هذه الترهات.. ولكني سأغيضهم بكلام عدوهم الأكبر شيخ الإسلام ابن تيمية، فهم يحترقون عند سماع كلماته.

نعم الطعن في أبي بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية كفر وزندقة وبدعة وضلال.. أما الطعن في علي بن أبي طالب، فلا حرج فيه، وليس كفرا ولا زندقة ولا بدعة ولا ضلالة.. بل قد يكون دليلا على السنة والصلاح والإمامة في الدين.. لقد اتفق على هذا كل سلفنا الصالح..

لقد ذكر شيخ الإسلام هذا، فقال: (إنّ الله قد أخبر أنّه سيجعل للذين آمنوا وعملوا الصالحات ودّاً، وهذا وعد منه صادق، ومعلوم أنّ الله قد جعل للصحابة مودّة في قلب كلّ مسلم، لا سيّما الخلفاء رضي الله عنهم ولا سيّما أبو بكر وعمر، فإنّ عامّة الصحابة والتابعين كانوا يودّونهما وكانوا خير القرون. ولم يكن كذلك عليّ فإنّ كثيراً من الصحابة والتابعين كانوا يبغضونه ويسبّونه ويقاتلونه، وأبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - قد أبغضهما وسبهما الرافضة والنصيرية والغالية والإسماعيلية. لكن معلوم أن الذين أحبوا ذينك أفضل وأكثر، وأن الذين أبغضوهما أبعد عن الإسلام وأقل، بخلاف علي، فإن الذين أبغضوه

أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ألا إنه لا نبوة بعدي ، وسمعته يقول يوم خيبر : لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، قال : فتطاولنا لها ، فقال : إدعوا لي علياً فأتي به أرمد ، فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه ولما نزلت هذه الآية : فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ، فقال : اللهم هؤلاء أهلي.

وقاتلوه هم خير من الذين أبغضوا أبا بكر وعمر، بل شيعة عثمان الذين يحبونه ويبغضون عليا، وإن كانوا مبتدعين ظالمين، فشيعة علي الذين يحبونه ويبغضون عثمان أنقص منهم علما ودينا، وأكثر جهلا وظلما. فعلم أن المودة التي جعلت للثلاثة أعظم)(1)

وهكذا نجد شيخ الإسلام لا يتحرج من الطعن في علي بن أبي طالب، فيذكر في مواضع كثيرة من كتابه العظيم(منهاج السنة) أن إن علياً قاتل للرياسة، لا للديانة، وأن إسلام عليّ مشكّك فيه لصغره سنه، وأن تواتر إسلام معاوية ويزيد بن معاوية أعظم من تواتر إسلام عليّ..

بل إن سلفنا الصالح حكموا بالعلم والإمامة في الدين لمن كانوا يتعبدون بلعن علي، ومنهم الثقة الكبير حَريز بن عثمان الرحبي الحمصي، وهو تابعي ، حافظ ، من رواة الحديث ، أخرج له البخاري والترمذي والنسائي وأبو داوود وابن ماجه، مع كونه كان (يشتم علياً على المنابر)(2)، وقال ابن حبان عند ذكره له: (كان يلعن علياً بالغداة سبعين مرة وبالعشيّ سبعين مرة، فقيل له في ذلك فقال : هو القاطع رؤوس آبائي وأجدادي)(3)

انظروا مبرره، وارحموه، فكيف تريدون من رجل قام علي بن أبي طالب بقتل آبائه وأجداده أن يحبه..

بقي الفارح ينفث سمومه على علي بن أبي طالب ناسيا أنه جاء ليذكرنا بفضائل الصحابة، وخصوصا معاوية بن أبي سفيان.. إلى أن جف ريقه، وتوقفت الكلمات الممتلئة بالحقد في فمه.. فطلب ماء،

---

1) منهاج السنة النبوية (7/ 138)

2) تاريخ بغداد ، ج8 ص 261..

3) تهذيب التهذيب ، ج1 ص 465.

فأحضروه له، فشربه، ثم أذن للحضور بالسؤال.

قام شاب من المتحررين، وقال: مـا دام في الأمـر فسحة، وأن دين الله يسع الناس جميعا، وأنه لا عبرة بالمواقف من أفراد الصحابة تعـديلا أو تجريحـا.. فلم هذا التشدد في الطاعنين في معاوية؟

قال الفارح: معاوية له ميزة خاصة عبر عنها سـلفنا الصالح.. فقد قـال أبـو توبـة الربيـع بن نـافع الحلـبي: (معاوية ستر لأصحاب محمد ﷺ، فـإذا كشـف الرجـل الستر اجترأ على ما وراءه)(1)

ولمّا سئل الإمام أحمد: ما تقول رحمـك اللـه فيمن قال:لا أقول إن معاويـة كـاتب الـوحي، ولا أقـول أنـه خال المؤمنين، فإنه أخذها بالسَّيف غصْباً؟ قال الإمام أحمد: (هذا قول سوءٍ رديء، يجانبون هؤلاء القـوم، و لا يجالسون، و نبيِّن أمرهم للناس) (2)

انظـر خطـورة من لا يقـول عن معاويـة أنـه خـال المؤمنين..

قام شاب، وقال: لأي سبب استحق هذا اللقب؟

قـال الفـارح: لأن أختـه زوج رسـول اللـه ﷺ، وأم المؤمنين، وهو بالتالي خال للمؤمنين.

قال الشاب: أفيمكن بهذا الاعتبار أن نعتبر حيي بن أخطب أبـا صـفية - وهي أم من أمهـات المؤمـنين - ذلك الظالم المعتدي الذي أهدر رسول اللـه ﷺ دمـه.. هل يمكن اعتباره جدا للمؤمنين؟

قـال الفـارح: طبعـا.. لا.. فـذلك كـافر، ومعاويـة

---

1) انظر أقوال السلف في معاوية في البداية والنهاية لابن كثير في ترجمة معاوية، ج8، ص130-139.

2) السنة للخلال (2|434)

مؤمن.. وفوق ذلك كان كاتبا للوحي[1].

قال الشاب: حتى لو فرضنا صحة كتابته للوحي.. فإنه لن يغني عنه من الله شيئا ألا تعلم أن هناك اثنين من كتبة الوحي قد ارتدا عن الإسلام؟

قال الفارح: أجل.. أما أحدهما، فهو عبد الله بن سعد بن أبي السرح، وله قصة مفصلة في كتب الحديث عنه[2]

وأما الثاني.. فأعرف أن الأرض لفظته، فعن أنس قال: كان هنا رجل من بني النجار، وقد قرأ البقرة وآل عمران، كان يكتب للنبي ﷺ فانطلق هاربا حتى لحق بأهل الكتاب، قال: فرفعوه، قالوا: هذا كان يكتب لمحد، فأعجبوا به، فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم، فحفروا له فواروه، فأصبحت الارض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له فواروه، فأصبحت الارض قد نبذته وجهها، ثم عادوا فحفروا له فواروه، فأصبحت الارض قد نبذته على وجهها، فتركوه منبوذا[3]

قام شاب آخر، وقال: ما تقول شيخنا في الأخذ بأقوال الصحابة؟

قال الفارح: هم أفضل الناس من تمسك بهم هدي، ومن ابتعد عنهم ابتعد عن الصراط المستقيم..

قام شاب آخر، وقال: فإذا اختلف الصحابة في

---

1) يذكر كثير من المدافعين عن الظلمة والمشرعين للاستبداد أن معاوية أحد كتاب الوحي، وهو غير صحيح من الناحية التاريخية، فلم يثبت أنه كتب الوحي قط، بل كان كاتباً من كتاب النبي ﷺ في فترة وجيزة.. وذلك لا يغني عن شيئا..

2) رواه ابن أبي حاتم وابو الشيخ عن الضحاك والبيهقي، عن عروة عن حذيفة وعن ابن اسحاق..

3) رواه البخاري ومسلم.

أمر.. فهل يجوز الأخذ بقول أحدهم؟

قال الفارح: أجل.. وقد ورد في بعض الآثار: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)، وهو وإن كان ضعيف السند، فقد اتفق سلفنا على صحة معناه.

قال الشاب: فما موقف الصحابة من معاوية؟

قال الفارح: لعل أكبر دليل على توثيق الصحابة لمعاوية أن عمر رضيه واليا على ثغر من ثغور المسلمين.. فلو كان كافرا أو منافقا أو فاسقا أو غير مأمون الديانة، هل يقبل به عمر أميرا له على المسلمين، فإذا كان عمر لم يرض بكافر أن يكون كاتبا عند بعض أمرائه، فكيف يولي من هو كافر منافق ؟!

وقد توقف عدد من العلماء عند موقف عمر هذا، وعدوه دليلا ظاهرا على إيمان معاوية وحسن سيرته ، وفي هذا يقول الذهبي: (حسبك بمن يؤمره عمر ثم عثمان على إقليم – وهو ثغر – فيضبطه ويقوم به أتم قيام ويرضى الناس بسخائه وحلمه وإن كان بعضهم تألم مرة منه وكذلك فليكن الملك)[1]

أما شيخ الإسلام، فقد ذكر الدلالات العميقة التي تدل عليها هذه التولية، فقال: (لما مات يزيد بن أبى سفيان في خلافة عمر استعمل أخاه معاوية، وكان عمر بن الخطاب من أعظم الناس فراسة وأخبرهم بالرجال وأقومهم بالحق ، وأعلمهم به... ولا استعمل عمر قط ، بل ولا أبو بكر على المسلمين منافقا ، ولا استعملا من أقاربهما ، ولا كان تأخذهما في الله لومة لائم ، بل لما قاتلا أهل الردة وأعادوهم إلى الإسلام منعوهم ركوب الخيل وحمل السلاح حتى

1) سير أعلام النبلاء , الذهبي (3/132)

تظهر صحة توبتهم)(2)

قال الشاب: أجبني عن سبب نزول قوله تعـالى: { يَاأَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا إِنْ جَـاءَكُمْ فَاسِـقٌ بِنَبَـإٍ فَتَبَيَّنُـوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَـادِمِينَ } [الحجرات: 6]

قـال الفـارح: على الخبـير سـقطت.. لهـذه الآيـة الكريمة سـبب نـزول تـوارد المفسـرون على ذكـره، وخلاصته أن الحـارث بن ضـرار الخـزاعي لمـا أسـلم اتفق مع النبي ﷺ أن يبعث له - في وقت اتفقا عليه - جابياً يأخذ منه زكـاة بـني المصـطلق، فخـرج رسـولُ رسـولِ ﷺ لكنـه خـاف فرجـع في منتصـف الطريـق، فاستغرب الحارث بن ضرار تأخر رسولَ رسـولِ اللـه ﷺ، وفي الوقت ذاته لما رجع الرسـول إلى النـبي ﷺ قال: يا رسول الله! إن الحارث منعـني الزكـاة، وأراد قتلي، فغضـب رسـول اللـه ﷺ وبعث إلى الحـارث، فالتقى البعث الذين بعثهم الرسول ﷺ مع الحارث بن ضرار في الطريق، فقـال لهم: إلى من بعثتم؟ قـالوا: إليك! قال: ولم؟ قالوا: إن رسـول اللـه ﷺ كـان بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم أنك منعته الزكـاة وأردت قتله! قال: لا والذي بعث محمداً بالحق، ما رأيتـه بتـة ولا أتـاني، فلمـا دخـل الحـارث على رسـول اللـه ﷺ! قـال: منعت الزكـاة وأردت قتـل رسـولي؟! قـال: لا والذي بعثك بالحق، ما رأيته ولا أتـاني، ومـا أقبلت إلا حين احتبس علي رسولُ رسولِ اللـه ﷺ، خشـيت أن تكون كانت سخطة من الله عز وجل ورسـوله.. وقـد رواه الإمام أحمد بسند لا بأس بـه، ويعضـده الإجمـاع الـذي حكـاه ابن عبـدالبر على أنهـا نـزلت في هـذه القصة.

قال الشـاب: فكيـف تسـتدل بتوليـة عمـر لمعاويـة

2) مجموع الفتاوى , ابن تيمية (35/65)

على كونـه ثقـة، وقـد ولى رسـول اللـه ﷺ وهـو المعصوم، من خانه في ولايتـه، ولم يحسـن التصـرف فيها؟

قـال الفـارح: هـذه أمـور لا يمكنـك أن تفهمهـا بسـهولة.. فرسـول اللـه ﷺ كـان معصـوما في تبليـغ الـدين، ولم يكن معصـوما فيمـا عـداه.. بينمـا كـان للصحابة من الخبرة بـأمور الـدنيا مـا جعلهم يرفعـون لواء الإسلام، ويحققون الأمجاد العظيمة التي لا نـزال نجـني ثمارهـا.. انظـروا إلى الفتـوح العظيمـة الـتي فتحوها..

بقي مـدة يـذكر فتـوح الشـام والعـراق والمغـرب، ويطنب في ذلك، وبعـد أن أصـابه الإرهـاق من تـرداد ذلـك، قـام شـاب، وقـال: لقـد علمنـا أن بعض كبـار الصحابة طعن في معاوية بن أبي سـفيان، بـل اتهمـه بعـدم الإسـلام أصـلا.. فهـل من جنـاح علينـا إن قلنـا بقوله؟

غضـب الفـارح، وقـال: ويـل لـك.. من يتجـرأ من الصحابة على أن يرمي خال المؤمنين بما ذكـرت من العظائم؟

قال الشاب: لقد ورد ذلك بالأدلة الصـحيحة القويـة عن عمار بن ياسر[1] ، و..

قاطعه الفارح غاضبا، وقال: لا عبرة بما يقول عمار بن ياسر، فقد كان من المحاربين لمعاوية، وقد حملـه

---

1) مما ورد عن عمار بن ياسر في هذا ما رواه الطبراني عن سـعد بن حذيفة بن اليمان قال: قال عمار بن ياسر يوم صفين وذكـر أمـرهم وأمر الصلح فقال: والله ما أسلموا ولكن استسلموا وأسروا الكفر فلما رأوا عليه أعواناً أظهروه)! قال الهيثمي في مجمع الزوائـد (ج1/118): (رواه الطبراني في الكبير وسعد بن حذيفة لم أر من ترجمه!) مـع أن ترجمته موجودة في طبقات ابن سعد وتـاريخ البخـاري وتـاريخ ابن أبي خيثمـة وكتـاب الجـرح والتعـديل لابن أبي حـاتم وفي ثقـات ابن حبـان وغيرها.

الغضب على أن يقول ما قال..

قال الشاب: ولكن رسول اللـه ﷺ قـال عنـه: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار)، وهو متـواتر.. ومثلـه حـديث (قاتـل عمـار وسـالبه في النـار)، ولـه أسـانيد قويـة، وقـد صـححه الألبــاني، ولا ريب أن من وضــع الجــائزة لمن يــأتي برأس عمار هو مشارك في القتل.

قال الفارح: مشكلتك أيها الشاب أنك لا تطالع، فلو قرأت ما قاله ابن كثير في الحديث لفهمت منه فهمـا مغايرا تمامـا، فهـو أقـرب إلى مـدح معاويـة منـه إلى ثلبه.. لقد قال ابن كثـير في شـرحه للحـديث: (وهـذا الحديث من دلائل النبوة حيث أخبر ﷺ عن عمـار أنـه تقتله الفئة الباغية ، وقد قتلـه أهـل الشـام في وقعـة صفين ، وعمار مع علي وأهل العراق.. وقد كان علي أحق بالأمر من معاوية.. ولا يلزم من تسمية أصـحاب معاويـة بغـاة تكفـيرهم ، كمـا يحاولـه جهلـة الفرقـة الضالة من الشيعة وغـيرهم ، لأنهم ، وإن كـانوا بغـاة في نفس الأمر، فإنهم كـانوا مجتهـدين فيمـا تعـاطوه من القتال، وليس كل مجتهد مصيبا، بل المصـيب لـه أجران، والمخطئ له أجر)(1)

انظر كيف أثبت ابن كثير أن لمعاوية وجيشـه أجـرا على تلك الحرب التي أقاموها في وجه علي.

قال الشاب: فما تقول في تتمة الحديث: (يـدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار)؟

قال الفارح: لقد رد ابن كثير على هذا، فقال: (فإن عمارا وأصحابه يدعون أهل الشام إلى الألفة واجتماع الكلمة ، وأهل الشام يريدون أن يستأثروا بالأمر دون من هو أحق بـه ، وأن يكـون النـاس أوزاعـا على كـل

---

1) البداية والنهاية، (4/538).

قطر إمام برأسه ، وهذا يؤدي إلى افتراق الكلمة ، واختلاف الأمة، فهو لازم مذهبهم وناشئ عن مسلكهم ، وإن كانوا لا يقصدونه)

قال الشاب: ولكن رسول الله ﷺ عند ذكره لتلك النبوءة، لم يكن إلا مبلغا عن الله، وقد أخبر أن عمارا يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار..

تظاهر الفارح بالهدوء، وقال: أولا يجب إحسان الظن بمن اصطفاهم الله لصحبة نبيه ﷺ، فهم خير صحابة لخير نبي ، لا يجوز في حقهم إلا حسن الثناء عليهم ، ومن وقع فيهم فهو متهم على دينه.. وقد قال أبو زرعة الرازي: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق)

والثاني: إنما اقتتل عامة أصحاب النبي ﷺ على التأويل والاجتهاد ، الذي يبدو لصاحبه أنه على الحق ؛ ولذلك لما استبان لبعضهم أنه كان مخطئا ندم على خروجه وقتاله ، والندم توبة ، والتوبة تجب ما قبلها ، وخاصة في حق أشرف الخلق وأعلاهم قدرا وأعظمهم حرما وجاها بعد أنبياء الله ورسله.

ومن تحقق الأمر علم أن هذا القتال كان سببه أهل الفتنة الذين روجوا لها بالباطل.

بقي الفارح مدة من الزمن في قريتنا يحاضر ويخطب ويأكل المضيرة.. وقد شكل بعد خروجه حزبا للطلقاء الذين لا هم لهم إلا التسبيح بحمد معاوية وفريقه صباحا، ولعن علي وأصحابه مساء..

أما المتحررون من أهل القرية، فقد قامت الحرب عليهم، ومنعوا من كل شيء.. حتى اضطروا للجوء إلى بعض الشعاب التي آوتهم إلى أن قضى الله أمرا كان مفعولا.

اعذروني على هذه التسمية، فلم أكن لأتجرأ عليها لولا أنها تمثل لقبا قرآنيا لصنف من الناس يحمل الأسفار، ولا يعيها، ويحمل العلوم، ولا يفكر فيها.

وأعتذر للحمير بعد أن أعتذر لكم.. فالحمير خلقها الله كذلك، وهي راضية بذلك، وتسبح الله وتحمده، وتنفذ ما أمرت به بدقة.. وهي لم تتلطخ بما تلطخت به الحمير البشرية الذين جعلوا من ظهورهم مطايا لكل الطغاة والمجرمين ليركبوهم، ويحولوا منهم أدوات لتنفيذ جميع مخططاتهم الشيطانية.

لا طاقة لي أن أحدثكم عن جميع الحمير الذي عرفتهم، فهم من الكثرة بحيث نحتاج إلى أسفار كثيرة للتعريف بهم.. ولهذا سأكتفي هنا بأحدهم، ويمكنكم أن تقيسوا عليه الباقي.

إنه رجل نال شهادة عالية في العلوم الدينية في جامعة من الجامعات الكبرى، وقد نال مع الشهادة بفضل ذكائه وحدة ذهنه الكثير من التزكيات التي خولت له أن يتولى التدريس والخطابة واعتلاء المنابر الكثيرة والحضور للمؤتمرات الحافلة ورئاسة الكثير من الجمعيات والمؤسسات والمنظمات.. وكان فرحا بذلك كله إلى درجة الثمالة.

وقد نال بسبب قدرته الفائقة على الاستحمار رضى الكثير من المنظمات العالمية المختلفة، وخصوصا منظمة الأيباك الصهيونية التي ضمته شرفيا إلى أعضائها المخفيين مع كونه مسلما ورث الإسلام عن آبائه لمئات السنين.. وقد أخفت اسمه ولم تعلن عنه حرصا على حياته، فحياته أهم عندها من رئيس الأيباك نفسه.

وممن سجلوا إعجابهم به – على حسب ما علمت

من مصادر موثوقة- وزيرة الخارجية الأميركية السابقة (كونداليزا رايس)، وذلك في حديث صحفي لها مع جريدة (واشنطن بوست الأميركية)، وقد أخبرت حينها عن مشروعها في نشر الديمقراطية بالعالم العربي والبدأ بتشكيل مايُعرف بـ (الشرق الأوسط الجديد)، عبر نشر (الفوضى الخلاقة)

وعندما سئلت عن كيفية تحقيق ذلك، أخرجت صورة لهذا العلامة الكبير، وهمست للصحفي في أذنه، بأن صاحب الصورة هو الذي يقوم بذلك، وقد طلبت منه أن يحلف بالأيمان المغلظة على ألا ينشر ذلك.. لكنه نشره بعد ذلك سرا مقابل بعض المبالغ المغرية.. أما الأيمان المغلظة فقد أفتاه للتخص منها بعض السبتيين الذين أتقنوا فن التحايل على الشريعة والعبث بها.. وما أكثرهم.

طبعا لم ينل إعجاب هذين فقط.. بل نال إعجاب الكثير.. ولكنهم جميعا لم يصرحوا بذلك.. بل ربما صرحوا بعكسه، لأنه لا يمكن أن يفطن الناس إلى أن الذين يشاهدونه على كل القنوات، ويسبحون بحمده كل حين ليس سوى حمار من أحمرة الاستكبار العالمي.. وأنه لم يمكن كل ذلك التمكين إلا ليؤدي وظيفته في نشر الفوضى بكل أنواعها.

لا أخفي عليكم أني كنت أستمع إلى نهيقه كل حين..

في البداية نهق لأجل خراب ليبيا.. وكان يحرض الذين يخربون بيوتهم بأيديهم بكل صنوف التحريض، وكان يعدهم بالجنة وما فيها من أنواع النعيم.. ويعد إخوانهم في الدين واللغة والوطن بالعذاب الدائم الذي لا ينتهي..

وبعدما خربت ليبيا.. راح يبحث عن مواطن أخرى..

فوجد سوريا أرضا خصبة لنهيقة.. فراح ينهق ويحرض جميع حمير العالم على أن يأتوا لسوريا، ويقوموا بإبادة كل من لا يزال يحتفظ بإنسانيته.

وهكذا هو في جميع القنوات والمنابر لا هم له إلا النهيق، وتحويل كل من يدمن على الاستماع لنهيقه إلى حمار لا يختلف عن الحمار العادي إلا في لباسه.. فالحمار العادي يرتدي بردعة.. والحمار الإنساني يلبس بذلة أو قميصا..

لست أدري كيف أتاح الله لي فرصة التعرف عليه عن كثب، بل الاستماع إلى حوار له مع صديق من أصدقائه الذين رافقوه في مرحلة الدراسة.. وقد كان صديقه هذا بسيطا متواضعا، لا يملك من الدنيا شيئا.. ولكنه كان مؤمنا ممتلئا تقوى وصلاحا.. وكان في إمكانه لو خضع لعملية بسيطة يتحول بموجبها إلى حمار لتخلص من كل ذلك البؤس الذي يعانيه.. لكنه لم يفعل.. ورضي أن يكون إنسانا فقيرا، بدل أن يكون حمارا غنيا.

عند سماحي للحوار الذي دار بينهما عرفت معنى قوله تعالى: { مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} [الجمعة: 5]، وسأترك لكم الفرصة لتعرفوا معناها بأنفسكم من دون تدخل مني.

قال له صاحبه، وهو يحاوره في بعض خطبه وفتاواه حول اليمن ودعوته إلى خرابها: مهلا.. أخي.. فأنت قد من الله عليك بكل هذه الامتيازات، وقد آتاك الله كل ما كنت تحلم به.. لكن لا يحق لك أن تسخر نعم الله في سخطه، وأن تتخذ ما آتاك الله من علم ومعرفة مطية لخدمة الطغاة والظلمة.

غضب (..؟)، وقال: من أنت حتى تحدد الطغاة

والظلمة.. إن تحقيق المناط علم من علوم الشــريعة الكــبرى لا يحــق لأحــد أن يتحــدث فيــه إلا إذا قــرأ (البرهــان) للجويــني.. و(المستصــفى) للغــزالي.. و(المحصول) للرازي.. و(الإحكـام) للآمـدي.. و(اللمـع وشرحه والتبصرة) للشيرازي.. و(قواطع الأدلــة) لابن السمعاني.. و(المنهاج) للقاضي البيضاوي.. وشـروحه مثل نهاية السول للإسنوي.. والإبهـاج للتقي السـبكي وأكملـه ابنـه تـاج الـدين.. وكتـاب (الورقـات) لإمـام الحرمين الجويني، وشروحه كشرح المحلي وشـرحي العبادي على شرح المحلي.. وأوسع شروحه وأجمعها شرح المرابط الـدلائي المسـمى (المعـارج المرتقـاة إلى معاني الورقات) الـذي حقـق مـؤخرا في رسـالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنـورة.. وكـل هذه الكتب في مكتبتي وقد قرأتها من صغري الباكر، وكنت أحملها دوما على ظهري.

قال له صاحبه: أنت تعرف أني لم أقرأ ذلـك كلـه.. وأنت تعلم أني مــع كــوني تشــرفت بزمالتــك في المراحــل الأولى من الدراســة إلا أن ظــروفي لم تسمح لي بإكمالها.. ولكن الذي حدثتك عنـه لا علاقـة لـه بكـل تلـك الكتب.. إنـه واضـح وضـوحا جليـا.. إن الأمـراء والملـوك الـذين تـدافع عنهم يرمـون بنـيران غضبهم وحزمهم وجبروتهم على قرى المستضـعفين، فيحولونهـا خرابـا.. أترضـى أن يكـون أولئـك الفقـراء خصومك يوم القيامة؟

قال (..؟): هذه الأمـور لا تفهمهـا.. ولا يمكنـك أبـدا أن تفهمهــا.. وعقلــك أقــل من أن يفهمهــا.. وحــتى تفهمهــا تحتــاج إلى قــراءة كــل مــا كتبــه البــاحثون المحققــون حــول الرافضــة وخطرهــا على العــالم الإسلامي، بل على العالم كلـه، ومنهـا كتـاب (تبصـرة الموحدين بخيانات ومخططات الشـيعة على الإسـلام والمسلمين) لمـراد سـلامة.. وكتـاب (إيـران الخفيـة)

لراي تقية.. وكتاب (أصول الديانة اليهودية وفروعها ودورها في تكوين عقائد الرافصة) للدكتور سعد المبارك الحسن محمد.. وكتاب (تبديد الظلام وتنبيه النيام إلى خطر التشيع على المسلمين والإسلام) لإبراهيم سليمان الجبهان.. وكتاب (سل السنان في الذب عن معاوية بن أبي سفيان) للشيخ سعد ضيدان السبيعي.. وكتاب (حزب الله الرافضي تاريخ أسود وافتراءات) للدكتور سيد بن حسين العفاني.. وغيرها من الكتب.

قال له صاحبه: إن هذه الكتب جميعا تدعو إلى الطائفية والتفريق بين المسلمين، والله تعالى نهانا عن ذلك، فقال: { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [الأنعام: 159]، وقال: { إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 92]

قال (..؟): هذه الآية لن تفهمها بسهولة.. وحتى تفهمها تحتاج إلى قراءة ما كتب في كل أسفار التفسير مثل كتاب (جامع البيان عن تأويل القرآن) لابن جرير الطبري.. وكتاب (بحر العلوم) لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي.. وكتاب (معالم التنزيل) لأبي محمد الحسن بن مسعود البغوي.. وكتاب (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية.. وكتاب (تفسير القرآن العظيم) لأبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير.. وكتاب (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي.. وكتاب (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) للحافظ جلال الدين بن أبي بكر عبد الرحمن السيوطي.. وكتاب (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي.. وغيرها كثير.

قـال لـه صـاحبه: لكن رسـول اللـه ﷺ حـذرنا من الفتن، ومن سـفك الـدماء، وقـد ورد في الحـديث أن رسـول اللـه ﷺ قـال: (بين يـدي السـاعة الهـرج)، قالوا: يـا رسـول اللـه، ومـا الهـرج؟ قـال: (القتـل)، قالوا: أكثر مما نقتل، إنا لنقتل في العام الواحد أكـثر من كـذا ألفـا؟ قـال: (إنـه ليس بقتلكم المشـركين، ولكن قتل بعضكم بعضا)، قالوا: ومعنا يومئذ عقولنا؟ قال: (إنه ينتزع عقول أكثر ذلك الزمان، ويخلـف لـه هبـاء(1)من النـاس، يحسـب أكـثرهم أنـه على شـيء، وليسوا على شيء) (2)

وفي حديث آخـر، قـال ﷺ:(والـذي نفسـي بيـده لا تـذهب الـدنيا حـتى يـأتي على النـاس يـوم لا يـدري القاتل فيم قتل ولا المقتـول فيم قتـل، فقيـل: كيـف يكون ذلك؟ فقال:(الهرج القاتل والمقتول في النار) (3)

بدا الغضـب على وجـه (..؟)، وقـال: لن تفهم هـذه الأحاديث بسهولة.. ولتفهمها تحتاج إلى قراءة كـل مـا كتب في شروح الحديث مثل كتـاب (إحكـام الأحكـام شرح عمدة الأحكام) لابن دقيق العبد.. وكتاب (سبل السلام شرح بلوغ المـرام) للصـنعاني.. وكتـاب (نيـل الأوطار شرح منتقى الأخبار) للقاضي محمـد بن علي الشوكاني.. وكتاب (جـامع العلـوم والحكم في شـرح خمسين حديثا من جوامـع الكلم) لابن رجب.. وكتـاب (غــريب الحــديث) لأبي عبيــد.. وكتــاب (النهايــة في غريب الحديث والأثر) لابن الأثير.. وكتاب (الفائق في غــريب الحــديث) للزمخشــري.. وكتــاب (الكــواكب الـدرارى في شـرح صـحيح البخـاري) لشـمس الـدين

---

1) الهباء في الأصل: ما ارْتَفع من تَحْت سَنابِك الخَيْل، والشَّيءُ المُنْبَثُّ الَّذي تَراه في ضَوْء الشمسِ.

2) رواه البيهقي في الدلائل.

3) رواه أحمد.

محمـــد بن يوســـف بن علي بن ســـعيد الكرمـــاني.. وغيرها من الكتب والأسفار.

بقي الصـاحبان يتحـدثان مـدة.. أولهمـا أو الإنسـان فيهمـا يـذكر باللـه ورسـوله ﷺ.. ويخـوف من الفتن وأسـبابها وآثارهـا.. والثـاني فيهمـا، أو الحمـار منهمـا، يعدد أسماء الأسفار التي يحملها، والتي غفل بهـا عن جميـع قـوى الشـر العـالمي الـتي تسـتثمر فيـه وفي بردعته.

السامريون

السامريون هم قوم من الدعاة إلى جهنم ورثوا جميع خصائص السامري التي ذكرها القرآن الكريم.. وليس هناك من فرق بينهما سوى أن السامري الإسرائيلي مارس تضليله وتحريفه في بني إسرائيل، وإخوانه من السامريين مارسوه في هذه الأمة.

وقد ذكر القرآن الكريم الأوصاف التي يستطيع أن يتحول بها الإنسان أي إنسان إلى سامري:

ومنها قوله تعالى: { وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ} [طه: 85]، فمن أتقن فن التضليل، وهو تحويل المهتدين عن الصراط المستقيم الذي ارتضاه الله لهم، نال شرف السامرية بامتياز..

ومنها قوله في وصف إعراض السامري عن هارون وصي موسى عليه السلام وخليفته في قومه: { وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (90) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى} [طه: 90، 91]، وبناء عليه، فإن كل من أعرض عن منابع الهدى التي خلفها النبي ﷺ ودعا إلى التمسك بها، يقع له ما وقع للسامري.

ومنها قوله تعالى في وصف الإله الجديد الذي صنعه لهم بدل إله موسى عليه السلام: { فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ} [طه: 88]، وبناء عليه، فكل من أصيب بمرض السامرية لابد أن يضع إلهه في قالب جسماني قد يختلف عن قالب العجل، لكنه يظل قالبا جسمانيا.

ومنها قوله في وصف غروره وعجرفته وادعائه أنه وصل إلى الحقيقة التي لم يصل إليها غيره: {

بَصُـرْتُ بِمَـا لَمْ يَبْصُـرُوا بِـهِ فَقَبَضْـتُ قَبْضَـةً مِنْ أَثَـرِ الرَّسُولِ فَنَبَـذْتُهَا وَكَـذَلِكَ سَـوَّلَتْ لِي نَفْسِـي } [طـه: 96]، وبنـاء عليـه، يكـون المصـاب بـداء السـامرية متعجرفا متكبرا مغرورا يتصور أنـه الوحيـد المتمسـك بأثر الرسول.. وأنه الوحيد المحافظ على هديه.

انطلاقا من هذه الأوصـاف سـأحكي لكم قصـة عن داعية كبير زار قريتنا المتواضعة لينشر فيهـا التوحيـد، ويخلصـها من الشـرك، ويخلصـها من تلـك العقيـدة التنزيهية التي فطرت عليها.

وككـل مـرة يستضـاف أمثـال هـؤلاء الـدعاة، فـإن الزينة وجميـع أنـواع البهـارج تنصـب لهم في قريتنـا.. ويقـوم الملأ ومن تبعهم من الأذنـاب بالإعـداد لـذلك كله.

وجاء اليوم الموعود، ودخل السامري قريتنـا بزينتـه التي بهرت الألباب، وقال نفر من قومنا بمجرد رؤيته: يا ليت لنا مثلما أوتي إنه لذو حظ عظيم.

وكانت أول موعظـة قـدمها لنـا حـول الإلـه الجديـد الذي أراد أن ينسخ به الإلـه الـذي كنـا نعرفـه ونعبـده ونقدسه..

قال لنا، وهو يتربع على أعلى تلـة في القريـة: لقـد جئتكم من تلـك البلاد البعيـدة – أنـا السـني السـلفي الأثري - حاملا معي جميع الآثار التي تعـرفكم بـربكم، وتبعد عنكم ذلـك الزيـغ، وتلـك الضـلالة الـتي نشـرها بينكم المنحرفون عن السلف الصالح الذي هم سفينة نجاة هذه الأمة..

إن معي من أثر الرسول ما يعصـمكم من الغوايـة، ومـا يـدلكم على الهدايـة.. فاسـمعوا لي لتنجـوا.. فلا نجاة لمن صم أذنيه عن هدي نبيه أو سلفه الصالح..

قال رجل من الملأ: نحن معك.. فتكلم بما شئت.. فلن تجد منا إلا آذانا صاغية، وقلوبا حاضرة.

قال السامري: أجيبوني.. أليس أول ما تحتاجونه للتعريف بأي شخص هو معرفة مكانه وبلده؟

قالوا: بلى.. ذلك صحيح.. ونحن يعرف بعضنا بعضا بالأماكن التي نسكن فيها.

قال السامري: أليس من العجب أن تعرفوا أماكن بعضكم بعضا.. ثم لا تعرفوا المكان الذي يتواجد فيه ربكم؟

ثارت ضجة بين الحضور، وقال بعضهم: كيف تقول ذلك، وقد قال الله تعالى: { وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [الحديد: 4]، وقال: { فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} [البقرة: 115]؟

قال آخر: نحن مذ ولدنا، ونحن نعلم الله أعظم من أن يحويه مكان، أو يجري عليه زمان.. وقد حفظنا من صغرنا قول الإمام علي: (كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان)

قال السامري: ما تقولونه هو عقائد الجهمية والأشاعرة والماتريدية والمعتزلة والرافضة الذين ضلوا عن ربهم.. الله بحسب الآثار فوق السماء السابعة.. ألستم ترفعون أيديكم إلى السماء عند الدعاء؟

قال رجل منا: بلى.. نحن نرفع أيدينا في الدعاء إلى السماء لأنها مهبط الرحمات و البركات، وليس لأن الله موجود بذاته فيها.. كما أننا نستقبل الكعبة الشريفة في الصلاة لأن الله أمرنا بذلك، و ليس لأن الله ساكن فيها.

قال السامري: كل ما تقولونه لا ينهض أمام الحجج

العظيمة التي سأدلي بها إليكم.. وأنتم في الخيار بعد ذلـك: بين أن تؤمنـوا بهـا، فتنجـوا.. وبين أن تعرضـوا عنها، فتضلوا.

قال رجل من الملأ: تحدث يا سيدنا.. فنحن ما جئنـا بك لنسمع لأنفسنا، أو لبعضنا بعضا، جئنـا بـك لتعلمنـا وتعرفنا بربنا.

قال السـامري: بـوركت.. وسـأذكر لكم من أقـوال سلفنا الصـالح مـا يـدلكم على هـذا، ومـا يـدلكم على خطورة الإعراض عنه.. لقـد روى عبـد اللـه بن أحمـد بسنده عن خارجـة بن مصـعب قـال:(الجهميـة كفـار، بلغوا نساءهم أنهن طوالق، وأنهن لا يحللن لأزواجهن، لاتعـودوا مرضـاهم، ولا تشـهدوا جنـائزهم، ثم تلا: { الـرَّحْمَنُ عَلَى الْعَـرْشِ اسْـتَوَى} [طـه: 5]، ثم قـال: (وهل يكون الاستواء إلا بجلوس)(1)

وقد وردت النصوص عن الصحابة الـتي تؤكـد هـذا، فقد روى عبد اللـه بن أحمـد بسـنده عن عمـر قولـه: (إذا جلس تبـارك وتعـالى على الكرسـي سـمع لـه أطيط كأطيط الرحل الجديد)(2)

وقد قال شيخنا سليمان بن سحمان رحمه الله يرد على من خالف ذلك: (قد جـاء الخـبر بـذلك عن أمـير المؤمنين عمر بن الخطـاب الـذي ضـرب اللـه الحـق على لسانه كما رواه الإمام عبد الله بن الإمـام أحمـد في كتابه السنة له.. وهذا الحديث صححه جماعـة من المحدثين)(3)

بل ورد في حديث رسول الله ﷺ ما يدل على هـذا،

1) السنة1/106(10). وانظر الاحتجاج بهذا القول في الصواعق المرسلة لابن القيم 4/1303.

2) السنة1/300(584) وأخرجه بهذا اللفظ البزار في مسنده 1/457(325)

3) الضياء الشارق في رد شبهات المازق المارق 79

فقـد روى عبـد اللـه بن أحمـد أن امـرأة جـاءت إلى النبي ﷺ، فقـالت: ادع اللـه أن يـدخلني الجنـة، قـال: فعظّم الرب عز وجل، وقال: وسع كرسيه الســموات والأرض، إنه ليقعد عليه جل وعز، فما يفضـل منـه إلا قيد أربعة أصـابع، وإن لـه أطيطـاً كأطيـط الرحـل إذا ركب) (1)

وقد رواه الدارمي السلفي الأثري بلفظ فيـه زيـادة قال في آخره: (وإن له أطيطاً كأطيط الرحل الجديـد إذا ركبه من يثقله)(2)

ثم عقب عليــه بقولــه ردا على الملاحــدة الــذين ينكــرون جلــوس اللــه على عرشــه: (فهــاك أيهــا المريسـي خـذها مشـهورة مـأثورة، فصـرها وضـعها بجنب تأويلك الذي خالفت فيه أمة محمد)(3)

قال رجل من الملأ: لقـد ذكـرت سـيدنا أنـه يفضـل من العرش قيد أربعة أصابع.. ما سر ذلك؟

قـال السـامري: لقـد ورد في الآثـار الكثـيرة الـتي وصلتنا عن الرسول أن تلك الفضلة هي مجلس النبي ﷺ الذي يُجلسه الله فيه معه يوم القيامة(4).

ثارت ضـجة بين الحضـور، فقـال: لا تسـتغربوا.. ولا تنكروا ما وصلنا من الآثار حـتى لا تهلكـوا.. لقـد قـال العلامة مرعي بن يوسـف الحنبلي عن ذلـك الحـديث الذي اسـتغربتموه: (أمـا هـذا الحـديث فنحن لم نقلـه من عنـد أنفسـنا فقـد رواه عامـة أئمـة الحـديث في

---

1) السنة 1/305(593)

2) نقض عثمان بن سعيد1/425-428.وأخرجه الطبري في تفسيره 3/9-11وابن خزيمة في التوحيد 106.

3) نقض عثمان بن سعيد1/428.

4) كتاب السنة للخلال 1/220.

كتبهم التي قصدوا فيها نقل الأخبار الصحيحة وتكلموا على توثقة رجاله وتصحيح طرقه ورواه من الأئمة جماعة أحدهم إمامنا أحمد وأبو بكر الخلال صاحبه وابن بطة والدارقطني في كتاب الصفات الذي جمعه وضبط طرقه وحفظ عدالة رواته وهو حديث ثابت لا سبيل إلى دفعه ورده إلا بطريق العناد والمكابرة)(1)

قال ذلك، ثم التفت للحضور، وخاصة إلى الملأ، وقال: لا تتصوروا أن الله جالس على عرشه فقط.. لقد وصل إلينا من أثر الرسول ما يدل على أن الله يستلقي عليه أيضا.

ثارت ضجة كبرى بين الحضور، فقال: لا تستغربوا.. فقد ورد في الأثر فقد ورد في الأثر: (لما قضى الله خلقه استلقى ثم وضع إحدى رجليه على الآخرى)(2)

وقد قال بعض سلفنا الصالح في هذا الأثر: (اعلم أن هذا الخبر يفيد أشياء منها جواز الاستلقاء عليه لا على وجه الاستراحة، بل على صفة لا نعقل معناها، وأن له رجلين يضع إحداهما على الأخرى على صفة لا نعقل معناها، إذ ليس في حمله على ظاهره ما يحيل صفاته، لأنا لا نصف ذلك بصفات المخلوقين، بل نطلق ذلك كما أطلقنا الوجه واليدين وخلق آدم بهما والاستواء على العرش.. وخبر كعب تضمن شيئين: أحدهما: إثبات الرجلين صفة، والثاني: منع هذه الجلسة وكراهتها. وقام الدليل على جواز هذه الجلسة..وبقي إثبات الرجلين على ظاهره لأنه لم ينقل عنهم خلافه ولا رده فوجب الرجوع إليه)(3)

---

1) أقاويل الثقات 119

2) عزاه الألباني في تخريج السنة لابن أبي عاصم إلى ابن منده في المعرفة(21321)، وعزاه ابن القيم في اجتماع الجيوش 1/54 إلى الخلال في كتاب السنة وقال (..بإسناد صحيح على شرط البخاري)

3) إبطال التأويلات 188/1-189

وقد اشتد ابن القيم على من أنكر هذا الخبر فقال بعد أن تحدث عن المعطلة الذين يقابلون الأخبار بالمنع والمعارضة: (إن كل واحد من هذين الأمرين أعني المنع والمعارضة ينقسم إلى درجات متعددة. فأما المنع فهو على ثلاث درجات.أحدها منع كون الرسول جاء بذلك أو قاله. الدرجة الثانية منع دلالته على ذلك المعنى. وهذه الدرجة بعد التنزل إلى الاعتراف بكونه قاله. الدرجة الثالثة منع كون قوله حجة في هذه المسائل.. والدرجات الثلاث قد استعملها المعطلة النفاة فأما الأولى فاستعملوها في الأحاديث المخالفة لأقوالهم وقواعدهم، ونسبوا رواتها إلى الكذب والغلط والخطأ في السمع واعتقاد أن كثيراً منها من كلام الكفار والمشركين كان النبي يحكيه عنهم، فربما أدركه الواحد في أثناء كلامه بعد تصديره بالحكاية فيسمع المحكيَّ فيعتقده قائلاً له لا حاكياً فيقول قال رسول الله، كما قاله بعضهم في حديث قتادة بن النعمان في الاستلقاء قال يحتمل أن يكون النبي حدَّث به عن بعض أهل الكتاب على طريق الإنكار عليهم فلم يفهم عنه قتادة بن النعمان إنكاره، فقال قال رسول الله ﷺ قالوا فلهذا الاحتمال تركنا الاحتجاج بأخبار الآحاد في صفات الله عز وجل. فتأمل ما في هذا الوجه من الأمر العظيم أن يَشتبه على أعلم الناس بالله وصفاته وكلامه وكلامِ رسوله كلامُ الرسول الحق الذي قاله مدحاً وثناءً على الله بكلام الكفار المشركين الذي هو تنقصٌ وعيبٌ فلا يميز بين هذا وهذا)(4)

قام بعض الحضور، وقال: إن قولك هذا يا شيخ ينسف كل عقائدنا.. فهو يدل على أن الله مركب من أبعاض وأجزاء، وقد روينا عن أئمتنا أن ذلك مستحيل على الله..

---

4) الصواعق المرسلة 4/1527-1529

قـال السـامري: كـل أولئـك الـذين تزعمـون لهم الإمامة قد ضلوا عن ربهم.. الله لا يعرف إلا من خلال أثر الرسول الـذي وصـلنا عن طريـق أهـل الحـديث.. فهم وحدهم سفينة النجاة.

قال رجل منا، وكان يشتغل بالفلسفة: ولكن العقل يحيل ذلك.. فوحدة الخالق تقتضي عدم تركيبه.

قال السامري: دعك من عقلك.. فإنه أكـبر حجـاب لك عن ربك.. لقد اتفق أهل الأثر عنـدنا على أن اللـه مركب من أجزاء يمكن أن يطلق عليها صفات.. فقـد روى عبد الله بن أحمد بسنده عن عكرمـة قـال: (إن الله عز وجل إذا أراد أن يخوف عباده أبدى عن بعضه إلى الأرض فعند ذلك تزلزل، وإذا أراد أن تدمدم على قوم تجلى لها)(1)

وقد رد ابن القيم على من أنكر هذا، فقال:

وزعمت أن الله أبدى بعضه** للطور حتى عاد كالكثبان

لما تجلى يوم تكليم الرضى**موسى الكليم مكلَّم الرحمن(2)

أمـا شـيخ الإسـلام ابن تيميـة، فقـد أطنب في الاسـتدلال لـذلك، وأثبت بكـل أنـواع الحجج على أن الصـفة بعض الموصـوف وليسـت غـيره، ومن أقوالـه في ذلـك: (وأمـا إطلاق القـول بـأن الصـفة بعض الموصوف، وأنها ليست غيره، فقد قال ذلـك طوائـف من أئمة أهل الكلام وفرسانُهم. وإذا حُقـق الأمـر في كثير من هذه المنازعات لم يجد العاقل السليم العقل ما يخالف ضرورة العقل لغير غرض.. وإن كان الإنكار

---

1) السنة 2/470(1069)

2) انظر شرح قصيدة ابن القيم لأحمد بن إبراهيم 1/230

لأنه لا يقال في صفات الله لفظ البعض فهـذا اللفـظ قد نطق به أئمة الصحابة والتـابعين وتـابعيهم ذاكـرين وآثــرين. قــال أبــو القســم الطــبراني في كتــاب السنة..عن ابن عبـاس قـال: إذا أراد اللـه أن يخـوف عباده أبدا عن بعضه للأرض فعند ذلك تزلـزلت.. وقـد جاء في الأحاديث المرفوعة في تجليه سبحانه للجبـل ما رواه الترمذي في جامعه - وذكر بعض مـا جـاء من الأخبار التي فيها أنه ما تجلى منه إلا مثل الخنصـر-... وعن مجاهـد عن عبيـد بن عمـير في قولـه في قصـة داود: { وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ} [ص: 25]، قال: يدنيه حتى يمس بعضه. وهذا متواتر عن هــؤلاء) (1)

ثـارت ضـجة بين الحضـور، وقـال بعضـهم: أيمكن هذا؟.. أيمكن أن يمس أحد الله؟ إن هذا لغريب..

قال السامري: دعكم من كل تلـك الضـلالات الـتي كنتم تتعلقون بها.. فالآثـار الـتي وصـلتنا عن الرسـول وورثته تدل على إمكانيـة ذلـك.. بـل حصـوله.. فاللـه تعــالى يمس خلقــه، ويمســونه.. وقــد روى ســلفنا الصـالح في تفسـير قولـه تعـالى في حـق داود عليـه السلام : { وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَـزُلْفَى وَحُسْـنَ مَـآبٍ} [ص: 25] عن مجاهد عن عبيد بن عمير، قال: (ذكـر الـدنو منه حتى ذكر أنه يمس بعضه)(2)

وفي رواية أخرى عنه تحديد دقيق للمماسـة، وأنهـا كـانت في القـدم، قـال مجاهـد:(مـا يـأمن داود عليـه السلام يوم القيامة حتى يقال لـه اُدنـه فيقـول: ذنـبي ذنبي، حـتى بلـغ، فيقـال: اُدنـه، فيقـول: ذنـبي ذنـبي، فيقال له: اُدنه، فيقول: ذنبي ذنبي حتى بلغ مكاناً الله

---

1) الفتاوى الكبرى 5/85-92.

2) السنة 2/503(1165)

أعلم به - قال سفيان - كأنه يمسك شيئا)[1]

ومن الروايات الـوارادة في هـذا البـاب مـا رواه الخلال بسنده عن مجاهد قال: (إذا كان يـوم القيامـة ذكر داود ذنبه فيقـول الله عـز وجـل لـه: كن أمـامي فيقـول: رب ذنـبي ذنـبي فيقـول الله لـه: كن خلفي فيقول: رب ذنـبي ذنـبي فيقـول الله عـز وجـل: خـذ بقدمي)[2]

وهناك روايات أخرى تـدل على أن المماسـة كـانت في اليـد، فقـد روى عبـد اللـه بن أحمـد بسـنده عن مجاهد عن عبيـد بن عمـير قـال:(حـتى يضـع يـده في يده)[3]

وهناك روايات أخرى تـدل على أن المماسـة كـانت في الحقو[4]،فقد روى عبد اللـه بن أحمـد بسـنده عن مجاهد قال: (إن داود عليه السلام يجيء يوم القيامـة خطيئتـه مكتوبـة في كفـه فيقـول: يـا رب خطيئـتي مهلكـتي فيقـول لـه: كن بين يـدي فينظـر إلى كفـه فيراها فيقول: يـا رب خطيئـتي مهلكـتي فيقـول: خـذ بحقوي. فذلك قوله عز وجل: { وَإِنَّ لَهُ عِنْـدَنَا لَـزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ} [ص: 25])[5]

وهناك روايات أخرى تـدل على أن المماسـة كـانت في الفخذ والإبهـام، وقـد رواه أبـو يعلى عن الحسـن

1) السنة 2/502 (1161)

2) السنة 1/262(322) وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف6/342 (31888)

3) السنة 2/502(1163) وقال محققه:(رجاله ثقات)

4) الأصل في الحقو معقد الإزار ثم سمي الإزار حقواً لأنه يشد على الحقو.

5) السنة 2/503(1166)

قال: أوحى الله إلى داود ارفع رأسك فقد غفرت لك، فقال: يارب كيف تغفر لي وقد صنعت ما صنعت؟ قال: ارفع رأسك فقد غفرت لك ومحوت خطيئتي بإبهام يميني)، وقد علق عليها أبو يعلي بقوله: (وهذه الزيادة تقتضي إثبات الإبها،م وذلك غير ممتنع كما لم يمنع إثبات الأصابع)(1)

قام رجل من الملأ، وقال: أخاصية المس التي ذكرتها عن الله خاصة بداود عليه السلام فقط، أم أنها يمكن أن تكون لغيره؟

قال السامري: المس صفة لله، فيمكن أن يمس من يشاء متى شاء كيف شاء بأي صفة شاء.. وقد ورد في الآثار ما يدل على ذلك.. فقد روى ابن أبي شيبة بسند صحيح عن حكيم بن جابر قال: (إن الله تبارك وتعالى لم يمس بيده غير ثلاثة أشياء خلق الجنة بيده، ثم جعل ترابها الورْس والزعفران وجبالها المسك وخلق آدم بيده وكتب التوراة لموسى)(2)

وروى عبد الله بسنده عن عكرمة أنه قال: (إن الله عز وجل لم يمس بيده إلا آدم صلوات الله عليه خلقه بيده والجنة والتوارة كتبها بيده قال ودملج(3)الله عز وجل لؤلؤة بيده فغرس فيها قضيباً فقال امتدي حتى أرضي وأخرجي ما فيك بإذني فأخرجت الأنهار والثمار)(4)

وروى الطبري في تفسيره عن كعب قوله: (إن ربك أخذ لؤلؤة فوضعها على راحتيه، ثم دملجها بين

---

1) إبطال التأويلات 1/206-208

2) المصنف 7/28(573)، وأخرجه عثمان بن سعيد في النقض على المريسي1/263-266.

3) دملج الشيء: إذا سواه وأحسن صنعته.

4) السنة 1/297(574)

كفيـه، ثم غرسـها وسـط أهـل الجنـة، ثم قـال لهـا: وكفيت حـتى تبلغي مرضـاتي، ففعلت، فلمـا اسـتوت تفجرت من أصولها أنهار الجنة، وهي طوبى)(1)

قام شيخ من القريـة، وقـال: تثبت يـا بـني.. فلعـل هذه أخبار كاذبة، فلا ينبغي أن نصف الله بمثـل هـذا.. أو لعل لها مرادات أخرى غير المرادات الظاهرة التي تراها؟

غضب السـامري، وقـال: كيـف تقـول عنهـا كاذبـة، وكل رواتها من السلف الصالح الذين ورثوا الرســول، وهم أعرف باللـه من غـيرهم.. أمـا معانيهـا فواضـحة وظـاهرة، ولا يصـح أن نعـدل عن الظـاهر إلى غـيره، لقد قال عثمان بن سـعيد في النكـير على من تأولَـه: (فيقـال لهـذا المريسـي الجاهـل باللـه وبآياتـه فهـل علمت شيئا مما خلق الله ولِيَ خلْقَ ذلـك غـيرُه حـتى خص آدم من بينهم أنـه وليَ خلقَـه من غـير مسـيس بيــده فســمِّه. وإلا فمن ادعى أن اللــه لم يــلِ خلْــقَ شـيء صـغير أو كبـير فقـد كفـر، غـير أنـه ولِيَ خلْـقَ الأشـياءِ بـأمره وقولـه وإرادتـه ووليَ خلْـقَ آدم بيـده مسيسـاً لم يخلـق ذا روح بيديـه غـيره، فلـذلك خصـه وفضله وشـرف بـذلك ذكـره لـولا ذلـك مـا كـانت لـه فضيلة من ذلك على شـيء من خلقـه إذ خلقهم بغـير مسيس في دعواك)(2)

قام رجل من الملأ، وقال: لقد شـوقتنا سـيدنا إلى ربنا.. فهل لربنا صورة مثلما لنا صورة؟

استبشر السامري، وقـال: أجـل.. ومن فضـل اللـه علينا أن الله خلقنا على صورته..

استغرب أهل القرية، وثارت ضـجة فيهم، فقـال: لا

1) تفسير الطبري : 13/147.

2) نقض الإمام عثمان بن سعيد 1/230

تستغربوا.. فقد وصلنا من أثر الرسول ما يدل على ذلك، وقد كتب العلامة السلفي الأثري الجليل حمود التويجري كتابا في ذلك سماه (عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن)، قدم له العلامة عبد العزيز بن باز.. وعلى منواله كتب العلامة حماد الأنصاري، وهو أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية مقالاً بعنوان (تعريف أهل الإيمان بصحة حديث صورة الرحمن) وكتب سليمان علوان (القول المبين في إثبات الصورة لرب العالمين)

قال الرجل: ما شاء الله ليتك توفينا بهذه الكتب سيدنا..

قال السامري: لا تقلق.. لقد أحضرت الكثير منها معي.. وقد أتيت بها كهدية إليكم.. من طالعها سيتحقق بمعرفة ربه، وسينال رضاه لا محالة.

قام رجل من القرية، وقال: ألا يخالف ذلك قوله تعالى: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: 11]، وقوله:{ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } [الإخلاص: 4]

قال السامري: أتريد أن تضرب السنة بالقرآن.. ألا تعلم أن السنة تخصص القرآن وتقيده وتنسخه.. ألا تعلم أنه لا يفهم القرآن من لا يعرف السنة.. أأنت أعرف بتفسير الآية من شيخ الإسلام أو كل أولئك السلف الصالح الذين قرؤوا الآيات، وحفظوها، وفهموها، ولم يروا لها أي تعارض مع الحديث..

بقي يرطن بمثل هذه الخطابات مدة إلى أن قال له رجل من الملأ: دعك منه سيدي، وحدثنا عن صورة ربنا..

قال السامري: لقد استدل سلفنا الصالح على صورة الله، وشبهها بصورة الإنسان بأدلة كثيرة لا

يمكن حصرها..

منها ما رواه عبد الله بن أحمد بسنده عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إذا قاتل أحدكم فليجنب الوجه فإنما صورة الإنسان على وجه الرحمن تبارك وتعالى)(1)

ومنها ما ورد في كتب أهل الكتاب من قبلنا من (أن الله عز وجل لما خلق السماء والأرض قال نخلق بشراً بصورتنا فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه..)(2)

قام شاب، وقال: ولكن هذا النص في العهد القديم..

قال السامري: وما في ذلك.. أأنت أعلم أم أعلامنا من أهل الحديث الذين قبلوه، واستدلوا به.. لقد قال العلامة التويجري بعد إيراده له: (وفيما ذكرته من نص التوراة أبلغ ردٍ على من تأول حديثي ابن عمر وأبي هريرة)(3)، وقال: (وهذا نص صريح في أن الله خلق الإنسان على صورة وجهه الذي هو صفة من صفات ذاته وهذا النص لا يحتمل التأويل)(4)

بل إنه استدل على ذلك(5) من القرآن الكريم بقوله تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ } [المائدة: 44]

بل إن شيخ الإسلام ابن تيمية أطنب في الاستدلال

---

1) السنة 2/536(1243) وأخرجه الدارقطني في الصفات36(49)

2) انظر عقيدة أهل الإيمان 31. وهذا النص في العهد القديم سفر التكوين ص2.

3) عقيدة أهل الإيمان 31

4) المصدر السابق 40

5) انظر عقيدة أهل الإيمان 31

لذلك، فقال في رده على بعض الفلاسفة: (ثم أعجب من هذا كله أنكم تقولون الفلسفة هي التشبه بالإله على قدر الطاقة... فإذا كان في التوراة إنا سنخلق بشرا على صورتنا يشبهنا أو نحو هذا فغايته أن يكون الله خالقاً لمن يشبهه بوجه، وأنتم فد جعلتم العبد قادراً على أن يتشبه بالله بوجه. فإن كان التشبه بالله باطلاً من كل وجه ولا يمكن الموجود أن يشبهه بوجه من الوجوه، فتشبيهكم أنكرُ من تشبيه أهل الكتاب لأنكم جعلتم العبد قادراً على أن يتشبه بالرب وأولئك أخبروا عن الرب أنه قادر على أن يخلق ما يشبهه.. فكان في قولكم إثبات التشبيه وجعله مقدوراً للعبد وأولئك مع إثبات التشبيه إنما جعلوه مقدوراً للرب، فأي الفريقين أحق بالذم والملام؟ أنتم أم أهل الكتاب إن كان مثل هذا التشبيه منكراً من القول وزوراً؟ وإن لم يكن منكراً من القول وزوراً فأهل الكتاب أقوم منكم لأنهم تبعوا ألفاظ النصوص الإلهية التي أثبتت ما أثبتت مقدوراً لرب البرية وأنتم ابتدعتم ما ابتدعتم بغير سلطان من الله)(1)

قام رجل منا، وقال: لكن القرآن الكريم أخبرنا عن تحريف أهل الكتاب لكتابهم، وخاصة فيما يتعلق بالله، فقد قال الله تعالى: { لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا } [آل عمران: 181]، وقال: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا } [المائدة: 64]

قال السامري: لقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية على هذه الشبهة، فقال: (ومما يوضح الأمر في ذلك أن النبي ﷺ قد ظهر وانتشر ما أخبر به من تبديل أهل الكتاب وتحريفهم وما أظهر من عيوبهم وذنوبهم وتنزيهه لله عما وصفوه به من النقائص والعيوب.. فلو كان ما في التوراة من الصفات التي تقول النفاة

1) درء التعارض 5/82- 84

إنها تشـبيه وتجسـيم - فـإن فيهـا من ذلـك مـا تنكـره النفاة وتسميه تشبيهاً وتجسيماً بل فيها إثبـات الجهـة وتكلم الله بالصـوت وخلـق آدم على صـورته وأمثـال هذه الأمور- فإن كان هذا مما كذبتـه اليهـود وبدلتـه كان إنكار النبي ﷺ لذلك وبيان ذلك أولى من ذكر مـا هــو دون ذلــك، فكيــف والمنصــوص عنــه موافــق للمنصوص في التـوراة فإنـك تجـد عامـة مـا جـاء بـه الكتاب والأحـاديث في الصـفات موافقـاً مطابقـاً لمـا ذكر في التوراة)(1)

قام رجل من الملأ، وقال: هلا زدتنا توضيحا سيدي، وذكرت لنا بدقة صورة الرحمن.. فلا يصح أن نعبد ربا لا نعرف صورته.

استبشر السامري، وقال: لقـد روى سـلفنا الصـالح في أحـاديث كثـيرة متـواترة عن أصـحابنا عن رسـول الله ﷺ أنه (رأى ربه عــز وجـل في النـوم في صـورة شاب ذي وفـرة قـدماه في الخضـر عليـه نعــلان من ذهب على وجهـه فراش من ذهب)(2)

قال الرجل: ولكن هـذا الحـديث يـدل على أنـه رآه في النـــوم.. ولا يمكن أن نـــرى في النـــوم الحقــائق بدقة.

قــال الســامري: لقــد رد ســلفنا الصــالح على هــذا الاعـتراض من وجهين، أمـا الأول، فهـو أن الـذي رأى هو رسول اللـه ﷺ.. وليس أحـدا آخـر، ورؤيـا الأنبيـاء صدق.. وأما الثاني، فقـد روي من طـرق متعـددة من أصــحابنا أن الرؤيــة كــانت في اليقظــة.. فقــد روى الطــبراني في (الســنة) عن ابن عبــاس قــال: رأى محمد ﷺ ربـه في صـورة شـاب أمـرد، وبـه قـال ابن

1) درء التعارض 7/86- 90

2) كتاب رؤية الله للدارقطني ص 90 ط.

جريج عن صفوان بن سليم عن عائشة قالت: رأى النبي ﷺ ربه على صورة شاب جالس على كرسي رجله في خضرة من نور يتلألأ..

وروى الطبراني في المعجم الأوسط عن عكرمة، قال: سئل ابن عباس: هل رأى محمد ﷺ ربه عز وجل ؟ قال: نعم، رآه في صورة شاب بين شعر من لؤلؤ، كأنّ قدمية في خضرة(1).

وروى أبو يعلى الفراء عن ابن عباس ما يؤكد صحة حديثه ذكره أبو بكر بن أبي داود في كتاب السنة بإسناده عن عكرمة قال: سئل ابن عباس: هل رأى محمد ﷺ ربه ؟ قال: نعم، قال: كيف رآه؟ قال: (في صورة شاب دونه ستر من لؤلؤ كأنّ قدميه في خضرة)، فقلت أنا لابن عباس: أليس هو من يقول: { لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِير} [سورة الأنعام:103] ؟ قال: لا أم لك، ذلك نوره الذي هو نوره إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء(2).

وروى أبو بكر الخلال عن عكرمة، عن ابن عباس أنّ النبي ﷺ رأى ربه جل ثناؤه جعداً قططاً أمرد في حلة حمراء(3).

بقي السامري بينا مدة يحدثنا بأمثال هذه الأحاديث، ولم يخرج من قريتنا حتى دب الصراع بيننا، ففريق يعبد الله القدوس الذي ليس كمثله شيء، ولم يكن له كفوا أحد.. وفريق منا يعبد الشاب الأمرد صاحب الحلة الحمراء.. والذي ينزل ويصعد، ويجري ويهرول، ويجلس ويستلقي، ويمس ويمس..

وقد كان من الممكن أن يقبل هذا التنوع في قريتنا

1) المعجم الأوسط للطبراني ج3 ص 335 رقم 4767.

2) . إبطال التأويلات لأخبار الصفات ج1 ص 148 رقم 151

3) إبطال التأويلات لأخبار الصفات ج1 ص 133 رقم 122.

لولا أن فريق التشبيه غلب فريق التنزيه، وحصره في الشعاب، ورمـاه بالبدعـة، وبقي الأمـر كـذلك إلى أن قضى الله أمرا كان مفعولا.

السبتيون قـوم من الـدعاة على أبـواب جهنم، وهم من الذين اتخذوا سلفا صـالحا لهم من بـني إسـرائيل يقال لهم (أصحاب السبت)، ومـع أن أولئـك مسـخوا قردة وخنازير، وصارت صورهم بشعة، ولكن مع ذلـك فقـد لقـوا من السـبتيين من هـذه الأمـة كثـيرا من القبول..

لا تسـتغربوا من هـذا.. ولا تحسـبوه نوعـا من التهويل.. فمن قرأ كتاب ربه، وتدبر فيـه، وتخلص من ترخنته أو أنسنته، وعرف أنه لم يذكر أي شيء عبثا.. فإنه يدرك أنه يستحيل ألا يكـون في هـذه الأمـة هـذا النوع من الدعاة.

وقبل أن نعرض لأصحاب السـبت من هـذه الأمـة، سنبدأ بالحديث عن أصحاب السبت من بني إسـرائيل كما ورد ذكـرهم في القـرآن الكـريم، قـال تعـالى: { وَاسْـأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَـةِ الَّتِي كَـانَتْ حَاضِـرَةَ الْبَحْـرِ إِذْ يَعْـدُونَ فِي السَّـبْتِ إِذْ تَـأْتِيهِمْ حِيتَـانُهُمْ يَـوْمَ سَـبْتِهِمْ شُـرَّعًا وَيَـوْمَ لَا يَسْـبِتُونَ لَا تَـأْتِيهِمْ كَـذَلِكَ نَبْلُـوهُمْ بِمَـا كَانُوا يَفْسُـقُونَ وَإِذْ قَـالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُـونَ قَوْمًـا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْـذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُـونَ فَلَمَّا نَسُـوا مَـا ذُكِّرُوا بِـهِ أَنْجَيْنَـا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَـذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُـوا بِعَـذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } [الأعراف: 163- 165]

وخلاصـة القصـة - كمـا وردت في كتب التفسـير، وكمـا هي واضـحة في النص القـرآني - أن أصـحاب السـبت كـانوا من بـني إسـرائيل قـوم موسـى عليـه السـلام.. وكـان اللـه عـز وجـل ابتلاهم بتحـريم صـيد الحيتان يوم السبت عقوبة لهم، فكانت الحيتان تخرج يوم السبت ظاهرة على سـطح المـاء في كـل مكـان سـمينة تلعب، فـإذا ذهب يـوم السـبت غاصـت فلم

يقدروا عليها، فاعتدوا بأخذها يوم السبت، بدأ بذلك واحد ربط حوتاً بخيط إلى وتد في ساحل البحر ولم يخرجه حتى ذهب يوم السبت فشواه فأكله، فوجد الناس رائحته فسألوه فأخبرهم فتابعه جماعة من الناس حتى كثر ذلك فيهم، وكانوا يحتالون على صيدها بحيل مختلفة، فانقسم الناس ثلاث طوائف، طائفة اعتدت في السبت، وطائفة لم تعتد في السبت ونهت الذين اعتدوا فيه، وطائفة لم تعتد ولكنها لم تنه الذين اعتدوا، وقالت للذين نهوهم: (لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً) فأجابهم الذين نهوا: (مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)، أي نحن ننهاهم حتى نعذر عند الله بأنا نهيناهم عن المنكر، ولعلهم يتوبون ويرجعون للصواب ويتقون عذاب الله وسخطه.

فلما أقام المعتدون على عملهم ولم يلتفتوا لنصح الناصحين وعتوا عن أمر الله أنجا الله الطائفتين الأخريين أو الطائفة التي نهتهم فقط، ثم أنزل عذابه على الطائفة المعتدية بأن مسخهم الله تعالى قردة وخنازير.

فإذا طبقنا على هذه القصة قوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى: (لتتبعن سَنن من قبلكم شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراعٍ ، حتى لو سلكوا جحر ضبٍّ لسلكتموه ، قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن !؟)(1)، فإننا سنخلص لا محالة إلى أن هناك من الأمة، بل من علماء الأمة من يحتال على أوامر الله، ويتلاعب بها، ويجعل منها شبكة لتحقيق أهوائه.

وهنا سنفاجأ كالعادة بالذين يهونون الأمور، ويتساهلون فيها، فيقولون: وما الفائدة من معرفتهم؟.. وما الضرر في الجهل بهم؟ يقولون ذلك

1) رواه البخاري (3269) ومسلم (2669)

حرصا على سمعة الأنداد الذين اتخذوهم من دون الله، والمستفتين الجهال الذين ضلوا وأضلوا.

والجواب بسيط، ومؤيد من القرآن الكريم، وهو أن الله ما عرفنا بهم إلا لنحذرهم ونحذر منهم، حتى لا يصيبنا ما أصابهم، لا في الدنيا فقط، بل في الدنيا والآخرة.

فالله سبحانه وتعالى كما يحاسبهم يوم القيامة على أخطائهم، فإنه سيحاسبنا على قبولنا باستفتائهم، وعدم استفتائنا لقلوبنا، وللفطرة النقية التي أودعها الله فينا.. لقد قال رسول الله ﷺ يذكر ذلك: (استفت قلبك، واستفت نفْسَك ثلاث مرات؛ البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك) (1)

أما ما يتوهمه البعض من أن المستفتي سيتحمل جميع تبعات من أفتاه، فذلك صحيح من جهة مضاعفة إثمه، وليس صحيحا من جهة رفع العقوبة عن المستفتي، وقد رسم القرآن الكريم صورا لتبرئ المفتي من المستفتي باعتبار المستفتي تابعا، والمستفتي متبوعا، فقال: { إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} [البقرة: 166، 167]

ويصور مشهدا آخر لندم المستفتي على طاعته للمفتي وتركه لطاعة الله ورسوله:{ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا } [الأحزاب: 66، 67]

---
1) رواه أحمد 18006 والدارميُّ 2533.

قد يقال: كيف يكون ذلك، والمستفتي عامي بسيط، ولم يجد إلا المفتي يلجأ إليه، فكيف يتحمل مسؤولية خطئه؟

والجواب بسيط هنا أيضا، وهو أن الله تعالى فطر قلوبنا على معرفة الحق والتمييز بينه وبين الباطل.. والثاني أن الحريص على دينه لا يكتفي بمفت واحد، كما لا يكتفي في مرضه بطبيب واحد، بل تجده يبحث ويحقق، ويقارن بين الأقوال ومدى فطريتها، فإن رأى قولا يتناسب مع القيم قبله، وإلا رفضه.

وأذكر في هذا أن طالبا لي اعترض على عدم إخراجي طائفة من طوائف المسلمين من الملة، وقال لي بشدة: (كيف تقول ذلك، وفلان - يقصد أستاذا آخر - حكم بالتكفير على من لم يكفرهم؟)، فقلت له: أنت بين ثلاث خيارات: الأول أن تتوقف في المسألة لوقوع الخلاف فيها، وخاصة أنها لا ترتبط بأي شعيرة من الشعائر.. والثاني أن تجتهد في المسألة وتبحث فيها إلى أن تتحقق بالصواب.. والثالث: أن تفعل ما كان يفعله رسول الله ﷺ من أنه (ما خير بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه)(1)، ووجه تطبيق الحديث في هذا المجال بسيط، فإن الذي كفر تشدد، والذي لم يكفر تساهل، أو رأى أن هناك من الشبهات ما يدرأ التكفير.. والحدود تدرأ بالشبهات.

لم يجبني، ولكني شعرت أنه يميل إلى رأي الأستاذ الآخر، فقلت له: أنت لم ترجح القول الآخر لحجة أو دليل، ولكنك رجحته لأنه يتناسب مع طبعك ونفسيتك.. وأنت في هذا تشبه ذلك الذي قال: (اللهم ارحمني وارحم محمدًا ولا ترحم معنا أحدًا)(2).. وإلا

---

1) رواه البخاري ومسلم.

2) رواه البخاري ومسلم.

فإن الورع يدعو صاحبه إلى الحذر والتوقف عن تكفير المسلمين حتى لا يتحمل مسؤوليتهم يوم القيامة.. فأن تخطئ في العفو خير من أن تخطئ في العقوبة.

بناء على هذا سنحكي لكم قصة تمثل مشهدا من المشاهد التي نعيشها كل يوم، وهي لعلم من أعلام الفتوى كان زميلا لي في الدراسة، لكنه أتيح له من الدنيا المرتبطة بالدين ما لم يتح لي..

وقد تعجبت عندما علمت بالمناصب الكبرى التي رقي لها، والمرتبطة بالفتوى.. فقد كنت أعلم أنه داهية محتال ذكي جدا، وكنت أتوهم أنه سيصبح مديرا لبنك، أو رئيسا لشبكة هرمية، أو شركة وهمية افتراضية.. لكن لم يخطر على بالي أبدا أنه سيصبح مفتيا.

لمت نفسي كثيرا، وأنا أسير إلى مكتبه الفخم، بل إلى قصره الفخم.. لقد قلت لها: لطالما كنت تتهمين الرجل بالنصب والاحتيال، وها أن الله قد أخلف ظنك، فأصبح رأسا من رؤوس الدين، وعلما من أعلام الهدى.

لكني عندما دخلت إلى مكتبه، وعاينت حياته وبعض فتاواه، وعرفت بعض مصادر دخله التي مكنته من كل ذلك الثراء، ندمت على ندمي، وتبت من توبتي، وأيقنت أن الطبع يغلب التطبع، وأن الرجل لا يزال نصابا، ولكنه نصاب فوق المعتاد، فهو قد استخدم الدين مطية للحيلة والدهاء والمراوغة.

ولست أدري كيف بدت لي صورته، وأنا أخرج من مكتبه على صورة خنزير أو غوريللا ضخمة..

لن أستعجل، فأحكم عليه.. سأدعكم مع مشهد واحد من المشاهد التي عاينتها لتحكموا عليه أنتم من

خلالها:

دخل إليه رجل يبدو عليه الثراء، وقال: لقد جئتك اليوم، وفي جعبتي عشر مسائل أعلم أنه لن يجيبني عليها غيرك.

المفتي: هذه عادتك دائما.. تأتيني كل مرة بعشرة من المسائل الغريبة التي لو طفت جميع البلاد لما وجدت من يفتيك فيها غيري.. ومع ذلك لا تقدر الأمر قدره.

المستفتي: لا تقل هذا.. فأنا أقدرك تقديرا عظيما، بل إني في جميع الصحف التي أملكها، والقنوات التي أرأسها لا أتحدث فيها عن غيرك.. وأنا أشيد بك فيها كل حين.

المفتي: أعلم ذلك.. وأشكرك على ذلك، وعلى تلك الهدايا القيمة التي ترسلها لي كل حين.. لكني أردت أن أذكرك فقط بأنك مهما فعلت في حق أهل العلم، فهو قليل، ففضل أهل العلم لا حدود له.. حتى الملائكة تضعها أجنحتها لهم.. وحتى الحوت يستغفر لهم..

المستفتي: أعلم ذلك.. وأنت تذكرني به كل حين.

المفتي: فهات ما عندك.. ما **المسألة الأولى** التي تريد أن تسأل عنها؟

المستفتي: أعلم أن وقتك مهم.. وأن لديك الكثير من التسجيلات الإذاعية والتلفزيونية.. ولهذا سأبدأ لك من الآخر..

المفتي، وهو يضحك: لا تقل لي أنك تريد أن تقضي على بعض خصومك؟

المستفتي: لا.. الخصم الجديد الذي أريد أن أقضي

عليه هو إمام جديد أرسلته وزارة الأوقاف إلى المسجد الذي يجاور بيتي.. وقد لقي القبول من الناس.. وقد سمعته يتحدث كلاما لم يعجبني.. وأنا أريد أن أتخلص منه بفتوى شرعية تجعل الناس ينفرون منه.

المفتي: أنت لك علاقاتك في الوزارة، ويمكنك أن تتخلص منه بسهولة.

المستفتي: أنا أريد أن أتخلص منه بالدين.. أنا أريد أن أزرع الحقد والكراهية عليه في المسجد.

المفتي: لا بأس.. هل تعرف توجهه الفكري؟

المستفتي: وهل لذلك قيمة؟

المفتي: أجل.. نحن نصدر فتاوانا في مثل هذه الأحوال بناء على أفكار الشخص التي تظهر من خلال أحاديثه.

المستفتي: لا أعرف توجهه بالضبط.. لكن هل يمكنك أن تضرب لي أمثلة على ذلك؟

المفتي: أجل.. مثلا إن كان يتحدث عن العقل والتفكير والبحث والنظر اتهمناه بالاعتزال، ثم أتينا له بأقوال العلماء التي تقول بتكفيره، بل بقتله إن شئت.

وإن كان يتحدث عن معرفة الله وحبه والأنس به والتوكل عليه والفناء فيه اتهمناه بالتصوف، وأتينا له بالأدلة المثبتة لكفره.. بل بقتله.

وإن كان يتحدث عن أهل البيت ومحبتهم والتمسك بهم وكونهم سفينة النجاة والصراط المستقيم اتهمناه بالتشيع والرفض، وكفرناه، ثم أهدرنا دمه.

وإن كان يتحدث عن الصالحين وكراماتهم وفضل

زيـارتهم والتوسـل بهم اتهمنـاه بالقبوريـة، وكفرنـاه، وأهدرنا دمه.

وهكذا.. يمكننا أن نجد المسوغات المختلفة لذلك..

قـال المسـتفتي: للأسـف.. لم أسـمعه يتحـدث عن كل ذلك.. سمعته فقط يكثر من الحـديث عن القـرآن الكريم والتدبر فيه واستخراج كنوز المعارف منه..

قاطعه المفتي: يكفيني هـذا لأن أصـدر فيـه فتـواي التي تقضي عليه، وترفع الثقة فيه، بل تسلمك رأسـه إن أردت..

المستفتي متعجبا: كيف؟

المفــتي: هــذا الرجــل من خلال مــا ذكــرت من القرآنــيين الــذين يبـالغون في تحميـل القـرآن مـا لا يحتمــل.. ولهــذا حكم العلمــاء الربــانيون العــدول بكفـرهم، ولـدي في ذلـك فتـوى جـاهزة ومختومـة، سأسلمها لك بحقها..

ضحك المستفتي، وقال: ومنـذ مـتى بخلت عليـك.. أنت ترى أني أقدم لك مكافأتـك قبـل أن تبـدأ في أي برنامج من برامجك على قناتي الدينية.

المفــتي: ولا تنس أيضــا أن قناتــك تلــك لم تكن لتشتهر لولا ظهوري عليها.

المسـتفتي: أنـا لا أنكـر ذلـك.. وأنـا ممتن لـك في ذلك.

المفتي: فهات **السؤال الثاني**.

المسـتفتي: لقـد أصـدر بعضـهم فتـوى متشـددة، ونشرها على نطـاق واسـع يهـاجم بهـا بعض العـادات الاجتماعية التي ورثناها عن أسلافنا، وأنا أريد منك أن تـرد عليـه، وأن تـبين أن الأمـر لا يسـتحق كـل ذلـك

التهويل.

المفتي: وما هي هذه العادة؟

المستفتي: أنت تعلم أن الناس يغضبون، وأثناء غضبهم يقولون كلاما لا يقصدونه.

المفتي: مثل ماذا؟

المستفتي: مثل سب الله والدين والرسول ونحو ذلك..

المفتي: أجل.. وما الذي تريده مني؟

المستفتي: لقد أصدر ذلك الداعية المتطرف فتوى بتحريم ذلك، بل باعتباره كفرا، وقد أصاب ذلك حياة الناس بالحرج، وانتشر التكفير بينهم لهذه الغاية، وأنا أريد منكم أن تبين أن الأمر أهون من أن يستحق كل ذلك.

المفتي: أبشر.. فلدي فتوى جاهزة بذلك، وهي لعلم من أعلام الفتوى من إخواننا الوهابيين الأفاضل، وقد درس في الأزهر والزيتونة وغيرها، ونشر فتواه في مجلة يعتبرها الكثير من أكبر المجلات المناصرة للسنة..

المستفتي: من هو؟.. لعلي أعرفه أو أستضيفه في قناتي.

المفتي: لقد مات رحمه الله.. وخلف لنا هذه الفتوى، وخلف لنا معها فتوى أخرى بتكفير كل أصحاب الطرق الصوفية الذين يذكرون الله جماعة أو جهرا ويأخذون العهود على ذلك.

المستفتي: عجبا.. أيكفر الذاكرين.. ويدافع عن الذين يسبون الله والدين والرسول؟

المفــتي: لا تعجب.. فهــذا هــو الــذي يــدلك على الفقيه.. الفقيه هو الذي يتشدد حين يظن النـاس أنــه سييسر، وييسـر حين يظن النـاس إنـه سيتشـدد.. إن الفقيه يرى ما لا يراه الناس، ويفطن لمـا لا يفطنـون له.. وقد فطن هذا الشيخ الجليل إلى أن معصية سب الله ورسـوله معصـية ناشـئة عن جهـل وغضـب، أمـا الــذين يــذكرون اللــه بتلــك الطــرق البدعيــة، فهم مصــرون عليهــا، وأنت تعلم أن العاصــي خــير من المبتدع.

المستفتي: بورك فيك مولانا.. لست أدري لولاك ما ذا كان سيحصل لي.

المفتي: لا تقلق.. فالله أرحم بعباده من أن يتركهم من دون فقهـاء ومفـتين يعلمـون كيـف تـدار الأمـور، وكيف يتحكمون فيها.. هيا هات **المسألة الثالثة**.

المســتفتي: أنت تعلم أننــا في قنواتنــا الدينيــة نستضــيف الكثــير من الــدعاة، وأننـا نعطيهم مبـالغ ضخمة مقابل ذلك.. وهم يطلبون مـني أن أكتم ذلـك عنهم لتبقى لهم ســمعتهم بين النــاس.. وأخــاف أن تسـألني الصـحف أو القنـوات الفضـائية وتسـتحلفني، فماذا أقول؟

المفتي: الأمر في ذلك بسيط جدا.. افعل ما أفعلــه أنا.. فكل قناة تسألني عن المبالغ الـتي أتقاضـاها من ظهوري على الإعلام أجيبها بقولي: والله وبالله وتالله لم أتقاض من كل القنوات دينارا واحدا.

ضــحك المســتفتي، وقــال: بــورك فيــك.. أنت لا تتقاضى بالدينار.. بل تتقاضى بالـدولار.. صـدقت إنهـا حيلة رائعة.. كيف لم أفطن لها.

المفــتي: تحتــاج لأن تقــرأ جميــع الكتب الــتي في مكتبتي لتفطن لها.. هيا هات **المسألة الرابعة**.

المستفتي: أريد أن أسألك مسألة شخصية خاصة بالمحرمات من الرضاع.

المفتي: أخبرني قبل أن تسأل.. هل تريد أن أبين لك إباحتها أم تحريمها؟

المستفتي: هذا ما يعجبني فيك.. أنت لا تتسرع بالفتوى حتى تعلم رغبة المستفتي.

المفتي: أجل.. فمن شروط المفتي معرفة المكان والزمان والحال والأشخاص حتى يبني فتواه على أساسها.

المستفتي: أقول لك من الآخر، هناك من تقدم لبعض قريباتي يريد الزواج منها، فجاءت امرأة عجوز وأخبرت أنها أرضعتهما مرة واحدة.. وأنا أريد أن أستغل هذه الرضاعة في إخراج فتوى منك تبين أن محرمة عليه.

المفتي: أبشر.. لدي في هذا الكثير من الفتاوى الجاهزة.. يمكنك أن تفتيهم في هذه الحالة بقول سعيد بن المسيب والحسن ومكحول والزهري والحنفية والمالكية وأحمد في رواية.. واذكر لهم من الأدلة النصية ما ورد في الحديث عن عقبة بن الحارث قال: تزوجت امرأة فجاءتنا امرأة سوداء فقالت: أرضعتكما فأتيت النبي ﷺ فقلت: تزوجت فلانة بنت فلان، فجاءتنا امرأة سوداء فقالت لي: إني قد أرضعتكما، وهي كاذبة فأعرض عني، فأتيته من قبل وجهه، قلت إنها كاذبة قال: كيف بها وقد زعمت أنها قد أرضعتكما، دعها عنك)[1]، فقد أمره ﷺ بالمفارقة ولم يستفسر منه عن عدد الرضعات، وتركه الاستفسار دليل على أنه ليس فيه عدد مقدر، بل يكفي فيه أصل الإرضاع.

1) رواه البخاري والترمذي وغيرهما.

المستفتي: بورك فيك مولانا.. فهل تسمح لي **بالمسألة الخامسة**.

المفتي: هلم بها.

المستفتي: هي على عكس تلك المسألة.. هناك قريبان لي يريدان الزواج من بعضهما، ونحن نعلم جميعا أنهما أخوان من الرضاع، فقد رضعا من امرأة واحدة ثلاث أو أربع مرات.. وأنا أريدك أن تعطيني حلا يجمع بينهما.

المفتي: الحل بسيط جدا.. وقد أفتى به الشافعية والحنابلة وغيرهما.. ولهم أدلة كثيرة على ذلك منها قوله ﷺ: (لا يحرم من الرضاع إلا ما أنبت اللحم وأنشز العظم)(1) ، وقوله: (لا تحرم المصة ولا المصتان)(2)

المستفتي: ذكرتني بمسألة أخرى، تتعلق بالرضاعة سمعتها من بعضهم.. ولست أدري مدى صحتها.

ضحك المفتي، وقال: لا بأس.. اطلب من سكرتيرتك أن ترضعك، وحينها لن تحتاج لوضع الخمار على رأسها، ويمكنك أن تختلي بها كما شئت.. ويمكنك الزواج بها إذا شئت أيضا، فهذه الرضعات لا تحرم الزواج(3).

المستفتي متعجبا: كيف علمت بذلك؟

المفتي: ألا تعلم أن من العلوم التي يحتاجها المفتي علم الفراسة، وهو تفرس وجوه المستفتين

---

1) رواه أبو داود.

2) رواه مسلم.

3) هي فتوى للدكتور عزت عطية رئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وتنص على أنه للمرأة العاملة أن تقوم بإرضاع زميلها في العمل منعاً للخلوة المحرمة.

ليتعــرف على شخصــياتهم ونفســياتهم ويفــتيهم من خلالها.

المستفتي: بورك فيك.. أنت لست عالما فقط، بــل أنت ولي أيضا.

المفتي: فهلم **بالمسألة السابعة**.. وهــل هي في الرضاعة أيضا؟

المستفتي: لا.. ليســت في الرضــاعة.. ولن أســألك عن الرضاعة أبــدا، فتكفيــني الأصــول الــتي بينتهــا لي لأقيس عليها غيرها.

المفتي: فهي في الزكاة إذن؟

المســتفتي: لســت أعجب من ذكائــك وفراســتك.. أجل هي كذلك.

المفتي: كم بقي على الحول؟

المســتفتي: أتريــد أن تجيبــني من غــير أن تعــرف المسألة؟

المفتي: أنا أعرف ما يدور في خلدك.. أنت تريد أن تسأل عن مقدار الزكاة.. وتخاف من أن يكــون كبــيرا لا تطيقه.. فأموالك كثيرة بفضل الله.. وتريد أن أضــع لك حلا.

المستفتي: أجل.. هذا ما كنت أريد أن أسأل عنه.

المفــتي: لا تخــف.. إن عملت بمــا أقولــه لــك، فلن تدفع من الزكاة دينارا واحدا.

المستفتي: عجبا.. هل يمكن ذلك؟

المفــتي: أجــل يمكن ذلــك.. ولكن لا تنس حقهــا ومستحقها.

المستفتي: لا تخـف.. فحقـك لن يضـيع معي أبـدا.. فما الحل لذلك؟

المفتي: هناك حلول كثـيرة ذكرهـا سـلفنا الصـالح، لعل أيسرها أن تهب مالك جميعا قبـل حلـول الحـول لبعض من تثق فيه، ثم يرده لك بعد ذلك لتستأنف بـه حولا جديدا.

المســتفتي: أمــوالي في البنــوك.. ولا يمكنــني إخراجها جميعا.

المفـتي: تكفيـك النيـة.. تكفي أن تقـول لزوجتـك: وهبتك مالي، فتقول: قبلت.. وبعدها تعيده لك.

المستفتي: أنا لا أثق في زوجـتي.. هـل يمكنـني أن أجري هذه المعاملة معك؟

المفتي: بكل سرور..

المسـتفتي: قـد وهبتـك جميـع مـالي المـودع في البنوك.

المفـتي: وأنـا قبلت.. ولكـني لن أعيـدها لـك حـتى تعطيني منها ما يرضيني.

المستفتي ضاحكا: ومتى بخلت عليك.. هي لك خـذ منها ما تشاء، ودع ما تشاء، فلـولا فتـاواك الذكيـة مـا استطعت جمعها.

هـذا مشـهد من المشـاهد الـتي رأيتهـا.. ولـدي في جعبتي الكثـير منهـا لكـني لن أحكيـه مخافـة أن يقـرأ ذلك أحد من أصحاب السبت، فيعمل به، وأحاسب أنا عليه.

من الأخطاء الكبرى التي وقع فيها العلماء الذين تخصصوا في تشريح الأمة وتقسيمها وتصنيفها بحسب آرائها وعقائدها، أو من يطلق عليهم (علماء الملل والنحل) هو اعتبارهم المرجئة طائفة من طوائف الأمة تتمثل في أشخاص محددين، وأتباع محددين، ولها تاريخ محدد.

ولذلك فإن كل من يقرأ عن هذه الفرقة، ولا يجد اسمه فيها يطمئن اطمئنانا كليا على أنه لن يحاسب يوم القيامة على إرجائه وأمانيه وغروره.. لأنه – بحسب ما يوحي إليه سدنة مذهبه وكهنته - من الفرقة الناجية، وشتان بين المرجئة، والفرقة الناجية.

وهذا خلاف للرؤية القرآنية التي تجعل الإرجاء نمطا في التفكير الإنساني يشمل الخلق جميعا، وليس له علاقة بدين دون دين، أو مذهب دون مذهب، أو جماعة دون جماعة.

فعندما يذكر الله تعالى عن بني إسرائيل قولهم في الإرجاء: { لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً } [البقرة: 80]، فإن هذا القول – وإن ذكر في بني إسرائيل إلا أنه لا يقتصر عليهم- فكل من قال قولهم سينال عقوبتهم، لأن ذلك هو مقتضى العدل الإلهي.

ولهذا قال الله تعالى ردا عليهم: { قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: 80]

ثم أعطى قانون ذلك، وهو يشمل البشرية جميعا، فقال: { بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [البقرة: 81]

وهي آية واضحة في كونها قانونا إلهيا يشمل الخلق

جميعا، ولا يختص بأمة دون أمة..

بل إن هناك آية أخرى تحدد قانون العدالة الإلهية مع الخلق بدقة، وأنه ليس هناك محاباة لأمة على حساب أخرى، فالله رب الخلق جميعا، قال تعالى: { لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} [النساء: 123]

لكننا في التراث، وفي التاريخ، وفي الواقع الإسلامي نجد تلك النظرة القاصرة المحدودة التي تتصور أن الإرجاء ليس سوى فلان وفلان، وجماعة وجماعة..

مع أن الإرجاء يشمل كل من يحمل ذلك الغرور، وتلك الأماني كائنا من كان:

فالصوفي الذي يعتقد أنه بمجرد انتسابه إلى شيخ، وأخذه العهد والتزامه به، يكفيه ذلك للنجاة، بل لتسلم أرقى مراتب الفلاح مرجئ.

والشيعي الذي يتصور أنه بمجرد ولائه لعلي بن أبي طالب، أو بكائه على الحسين، أو انتظاره للمخلص، دون عمل وجهد وتطبيق للشريعة ظاهرا وباطنا مرجئ.

والعامي الذي يفخر على الناس بكونه مالكيا أو شافعيا أو حنفيا أو حنبليا، ويتعصب لذلك، ويتصور أنه كاف للنجاة مرجئ.

وهكذا فإن الإرجاء قد تغلغل في أعماق هذه الأمة كما تغلغل قبلها في أعماق بني إسرائيل..

ولكن مع ذلك، فإني مع كثرة المرجئة الذين أراهم، لم أر مرجئة أخطر من إرجاء من يطلقون على أنفسهم لقب السلفية والأثرية وأهل الحديث.. بل إن

الإرجـاء وصـل بهم إلى تسـمية أنفسـهم (الفرقـة الناجية)، وكأنهم تسلموا صـكوك الغفـران، أو مفـاتيح الجنان، ولم يبق بينهم وبينها إلا أن تـأتي ملائكـة اللـه في ساعة الاحتضار لتزفهم إليها.

بالإضافة إلى أن سائر الأمة، وإن طمعت في فضل اللـه، وغلبت الرجـاء على الخـوف، وقـد تخطئ في بعض مصاديق ذلك، إلا أنها لم تتجرأ على غيرهـا كمـا تجـرأ التيـار السـلفي على غـيره.. فهـو لا يكتفي بـأن يعتقد الجنان لنفسـه، بـل يجعـل من عقائـده الـتي لا فكـاك لـه عن الاعتقـاد بهـا أن يـرمي بالعـذاب على غيره.. فهو لا يقول كما يقـول بعض الصـوفية - مثلا - بأن رحمة الله تتسع للخلائـق جميعـا، وإنمـا يقولـون: (النار تتسع للخلائق جميعا ما عدا من انتسب إلينا)

وقد وضعوا لـذلك قواعـد وقـوانين تصـوروا أن كـل من قال بها، فهو ناج، ولا يهم إن كان قبلـه سـليما أو غير سليم.. مع أن الله تعالى قال: { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَـالٌ وَلَا بَنُـونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَـلِيمٍ } [الشـعراء: 88، 89]

بـل إنهم – بحسـب تلـك القواعـد الـتي وضـعوها- يشترطون أن يكون القلب مشحونا بكل ألوان الحقـد والكراهية لكـل المخـالفين، ويعتـبرون سـلامة القلب وصـفاءه بدعـة وانحرافـا عن الـدين.. فالـدين في تصـورهم ليس مجاهـدة للنفس في السـير إلى اللـه، وليس مجاهدة للتخلـق بـأخلاق أهـل اللـه، وإنمـا هـو مجموعة من الأفكار الحاقدة تردد كل حين لتملأ حياة الناس وحشة وألما.

فالتكبر الذي مقته الله وحذر منـه، وذكـر أن جـزاء المتكبرين أن { لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَـلُ فِي سَـمِّ الْخِيَـاطِ} [الأعـراف: 40] اعتـبروه عـزة إيمانيـة، وترفعـا إيمانيـا، وتمـيزا

للناجي على غيره.. ولذلك تكون له السلطة على غيره، فلا يسلم عليه، ولا يعوده، ويضيق عليه الطريق، ويؤذيه قدر المستطاع.

والغيبة التي حرمها الله، واعتبر المغتاب كمن يأكل لحم أخيه ميتا، حولوها إلى غيبة في الله.. فلذلك لا تصلح مجالسهم إلا بها، ولا تشحن كتبهم وخطبهم إلا بأسماء مخالفيهم مع تغييرها التغيير المناسب ليشرعوا التنابز بالألقاب الذي حرمه الله، وكأنهم يحادون الله بذلك..

وهكذا نجدهم مع أوامر الشريعة، يخالفونها ويبررون مخالفتهم لها بكل صنوف المبررات..

وبناء على هذا سأحكي لكم مشهدا عن داعية كبير جاء لقريتنا الصغيرة المتواضعة لينشر فيها قيم الإرجاء، وأخلاق المرجئة..

وقد دعاه إلى ذلك بعض الملأ ممن ساءت سمعتهم بسبب الجرائم الكثيرة التي ارتكبها.. فأراد أن يعيد لسمعته اعتبارها، وخاصة بعد أن أطلق لحيته، وقصر قميصه، وتصور أنهما كافيان ليحولاه من صاحب جرائم كبيرة إلى تقي صالح.

وقبل أن أحكي لكم عن حديثه مع أهل القرية أحدثكم عن حديث جرى بينه وبين ذلك المجرم الذي تصور أن لحيته وقميصه كافيان لمحو جميع جرائمه..

قال المجرم للمرجئ: نسيت أن أذكر لك أني قبل توبتي كنت مدمنا على المخدرات.. بل تاجرا فيها.. أهربها من كل مكان، وأسقي بسمها الزعاف شباب هذه القرية وغيرها من القرى.. وأنا لذلك أتألم كلما أرى مدمنا لأني أشعر أني سبب ما يحصل له.

المرجئ: لا عليك.. ولا ينبغي أن تتألم.. فالتوبة

تجب ما قبلها.. والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.. وأنت الآن بحمد الله صرت من الفرقة الناجية، وكل ما فيك يدل على ذلك، فأبشر.

المجرم: ولكن لا تتصور كم كنت بشعا وأنا أحول من الطيبين الطاهرين مدمنين متسكعين في الشوارع.

المرجئ: لا تذكر هذا.. فلعل الله أراد بهم خيرا.. فأنت ترى أن المتدينين في قريتكم كلهم بين قبورية وجهمية وصوفية ورافضة.. وهؤلاء شر من المدمنين.. وأنت تعلم قول سلفنا الصالح في ذلك.

المجرم: أجل.. وقد حفظت أقوالهم في ذلك عن ظهر قلب، فقد قال أحدهم: (لأن يكون ابني فاسقا من الفساق أحب الي من أن يكون صاحب هوى) (1)، وقال آخر: (لأن يصحب ابني فاسقا شاطرا سنيا أحب إلي من أن يصحب عابدا مبتدعا) (2).. وقال آخر: (لأن أجاور يهوديا ونصرانيا وقردة وخنازير أحب إلي من أن يجاورني صاحب هوى يمرض قلبي)(3).. وقال آخر: (لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من الهوى) (4).. وقال آخر، وهو الإمام أحمد بن حنبل.. وما أدراك ما الإمام أحمد..: (قبور أهل السنة من أهل الكبائر روضة، وقبور أهل البدع من الزهاد حفرة، فساق أهل السنة أولياء الله، وزهاد أهل البدع أعداء الله)(5)

---

1) الشرح والابانة /89

2) ذكره محقق السنة للبربهاري / 124 / ،وعزاه الى البيهقي في الاعتقاد : 158

3) كتاب الابانة / 469.

4) انظر كتاب الحلية / 9 – 111

5) كتاب المنهج الأحمد 1-296.

المـرجئ: بـوركت.. وبـوركت ذاكراتـك أرى أن لـك مستقبلا علميا عظيما.. لعل ذلك من تأثيرة الحشيشة التي كنت تتناولها، فمـع كـون ذلـك معصـية إلا أننـا لا ندري كيف أخرج الله منها كل تلك البركات.. فـالكثير من أصحابنا، وخاصة ممن من الله عليهم بالجهـاد في سبيل الله كانوا مدمنين عليها..

المجـرم: الحمـد للـه.. كـل ذلـك من فضـل اللـه ومنته..

المـرجئ: هيـا نـذهب إلى أهـل القريـة.. فلعلهم ينتظروننا.

المجرم: اصبر قليلا سيدي.. فأنا أريـد أن أذكـر لـك كل ما فعلتـه سـابقا حـتى لا تفاجـأ، فأنـا أعلم أن من أهل القرية من يريـد أن يخـبرك عن جميـع مـا فعلتـه من آثام لينقص بـذلك من قـدري، ويحـول بيـني وبين أن تعود لي مكانتي بين الناس.

المـرجئ: لا تقلـق.. فأنـا مـذ رأيتـك، ورأيت سـمة السجود على جبهتك أيقنت أنك من الفرقـة الناجيـة.. فكل شيء فيك يدل على ذلك.

المجـرم: لكن لابـد أن أذكـر لـك جريمـة لا تـزال تؤرقني، وتقض مضجعي، وتملأ حياتي بالآلام..

المرجئ: فحدثني عنها لتستريح.

المجـرم، وهـو يبكي: لقـد قتلت بيـدي هـذه تسـعة وتسعين نفسا..

المـرجئ: وهـل كـانوا من أصـحابك من المـدمنين على المخدرات؟

المجرم: لا.. ليتهم كانوا كذلك.. بـل كـانوا من أهـل القرية المتدينين.. كان كل ما يـأتيني أحـدهم ينهـرني

عن المخـدرات، أو يؤنبـني لأنـني تسـببت في وقـوع ولده في الإدمان أقتله بكل برودة.

المرجئ: هل تعرف مذاهبهم؟

المجرم: أجل.. بعد توبتي تمكنت من معرفتها.

المرجئ: فما كانوا؟

المجـرم: لقـد قتلت تسـعة وثلاثين من القبوريـة الذين تعودوا أن يزوروا الأضرحة.

المرجئ: بورك لك.. وبوركت يـدك.. أنت لم تفعـل إثما.. بل فعلت الصواب.. أنت أحـييت سـنة مشـايخنا من السـلف الصـالح، وخاصـة الشـيخ محمـد بن عبـد الوهاب الذي قتـل الآلاف المؤلفـة من القبوريـة، ولم تأخذه في الله لومة لائم.. لقد بقي ستون.. فعلي أي مذهب كانوا؟

المجرم: لقد قتلت خمسة من الرافضة..

المرجئ: خمسة فقط.. ولم؟

المجرم: لأنهم لم يكن منهم في قريتنا إلا خمسـة.. مـررت على بيتهم مـرة، فـرأيتهم يبكـون ويلطمـون فأزعجني ذلك، فرحت وقتلتهم جميعا.

المـرجئ: بـوركت يـدك.. لقـد قمت بعمـل عظيم.. لقد أحييت سنة من سـنن سـلفنا الصـالح.. لقـد قـام شيخ الإسلام مثلك بقتال الرافضة بيده الشريفة، ولم يكفه ما كتبه فيهم من كتب.

المجرم: لكني أنزعج من ذلـك لأنهم لم يفعلـوا لي شيئا.

المرجئ: يكفي أنهم هم السبب في كـل المصـائب الـتي تقـع في بلاد الإسـلام.. لقـد أنقـذت قريتـك من

الطوفان الجارف الذي سيغمرها لو تركتهم على قيد الحياة.

المجرم: الحمد لله رب العالمين.. هذا كله من فضل الله.

المرجئ: لقد بقي خمسة وخمسون.. فمن كانوا؟

المجرم: كان عشرون منهم جيرانا لي.. وقد عدت مرة من بيتي، فسمعتهم يرفعون أصواتهم بالذكر.. فأزعجني ذلك، فرحت، وأحرقت عليهم بيتهم بعد أن أحكمت إغلاق بابه.

المرجئ، وهو يضحك: بورك لك.. وبوركت أناملك.. لقد أحييت سنة حرق المبتدعة.. لاشك أن هؤلاء كانوا من الصوفية.. وهم في العادة ملاحدة وأكفر من اليهود والنصارى.. فاحمد الله على ما أفاض عليك من نعمة الجهاد في سبيله.

المجرم: الحمد لله رب العالمين.. هذا كله من فضل الله.

المرجئ: لقد بقي خمسة وثلاثون.. فمن كانوا؟

المجرم: أما ثلاثون منهم.. فكانوا يزاحمونني على عقارات أردت شراءها.. فقضيت عليهم واحدا واحدا.

المرجئ: وهل كانت لهم علاقات مع الصوفية أو الرافضة أو الجهمية أو غيرهم؟

المجرم: أجل.. فقد كانوا من المتدينين.. وبعضهم كان يدفع أمواله لأصحاب الطرق الصوفية، وآخرون لغيرهم من الفرق التي ذكرت.. لكني لا أعلم بالضبط إن كانت لهم اهتمامات بهذه الجوانب.. فلم أرهم يمارسون ما يمارسه أصحاب الطرق وغيرهم.

المرجئ: لا حرج عليك.. مجرد دعمهم للمبتدعة

كاف في ذلك.. فمن أعان الظلمة كان ظالما مثلهم، واستحق ما ينزل به.. تصور لو أنك لم تفعل ذلك.. وتركت لهم الفرصة ليحصلوا على العقارات والأموال.. هل كان يمكنني أن أكون أنا هنا؟

المجرم: لا.. لا يمكن ذلك، لأنهم سيأتون بدلك بمشايخ البدعة والضلالة.

المرجئ: فاحمد الله إذن على نعمته عليك بتخليصك لأهل قريتك من المبتدعة وداعميهم.

المجرم: أنا أتألم لأني عندما ذبحت أحدهم بيدي بكى وشهد الشهادتين، ثم قال: مرحبا بالدخول على الملوك.

المرجئ: أبشر.. فهذا القول منسوب للغزالي الصوفي الأشعري.. وهو يعني أنه متأثر به.

المجرم: أنا لم أتألم لقتله، ولكني تألمت لكوني ذبحته بيدي.. كان يمكنني أن أقتله بطرق أخرى.

المرجئ: بل ما فعلته هو الصواب.. وهو فعل سلفنا الصالح.. فقد فعله الحاكم الصالح العادل خالد بن عبد الله القسري الذي كان واليا علي العراق لهشام بن عبدالملك، والذي سن سنة حسنة بذبح المبتدعة، فقد ذبح الجعد بن درهم بعد أن خرج به إلي مصلي العيد بوثاقه، ثم خطب الناس وقال: (أيها الناس! ضحوا، تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلم موسي تكليما)[1]، ثم نزل وذبحه.

وقد أثنى على سلوكه هذا كل سلفنا الصالح ومن تبعهم بإحسان، فقد قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين معقبا على ثناء ابن تيمية على خالد

1) البخاري في (خلق أفعال العباد) ص 69.

القسري: (جزاه الله خيرا، فالناس يضحون بالغنم والشاة والمعز والبعير والبقر.. وهذا ضحي بشر منها، فإنه شر من الإبل والغنم والحمير والخنازير، لأن الله يقول: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ} [البينة: 6]، ويقول: { إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا} [الفرقان: 44]، وإني أسأل الآن: البعير عن سبع، والبقر عن سبع، وهذا الرجل عن كم.. عن آلاف آلاف وقي الله شرا كبيرا، لكن بعض الناس _ والعياذ بالله_ يقولون إن هذا العمل من خالد بن عبد الله القسري ليس دينا، ولكنه سياسي، ونقول لهم هذا كذب، لأن الرجل صرح أمام الناس أنه قتله من أجل هذه البدعة)

وقد مدح ابن القيم هذا السلوك العظيم من خالد القسري في (النونية) التي عرض فيها عقيدة السلف، فقال:

ولأجل ذا ضحي بجعد خالد الق سري يوم ذبائح القريان

إذ قال إبراهيم ليس خليله كلا *ولا موسي الكليم الداني

شكرا الضحية كل صاحب سنة *لله درك من أخي قربان

المجرم: لكن بقي خمسة من الناس أظن أني قتلتهم ظلما.. وأنه لا مبرر لي في ذلك.. فلم يكونوا من الصوفية ولا من الرافضة ولا من الجهمية ولا من داعميهم.

المرجئ: لا بأس.. سنجد لها حلا.. أخبرني ما كان مذهبهم الفقهي؟

المجرم: لقد كانوا من الشافعية..

المرجئ: الله أكبر.. الحمـد للـه.. أنت لم تفعـل إلا الواجب.

المجرم: كيف ذلك؟

المرجئ: هل رأيتهم، وهم يصلون؟

المجرم:أجل.. وقد قتلتهم وهم يصلون.

المرجئ: لا يهم متى قتلتهم.. أخـبرني فقـط.. هـل سمعتهم، وهم يتلفظون بالنية في الصلاة.

المجرم: أجل.. لقد سمعتهم يذكرون وهم قائمون أنهم سيصلون الظهر لله تعالى.. ومع ذلك قتلتهم.

المــرجئ: حســنا فعلت.. أنت بفعلــك هــذا طبقت فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية، فقد قـال في (مجمـوع الفتاوى): (الجهر بلفظ النية ليس مشروعا عنـد أحـد من علماء المسلمين ولا فعله رسول الله صـلى اللـه عليه وسلم ولا فعله أحد من خلفائه وأصحابه وسـلف الأمة وأئمتها ومن ادعى أن ذلك دين الله وأنـه واجب فإنه يجب تعريفه الشريعة واسـتتابته من هـذا القـول فإن أصر على ذلك قتل)(1)

المجرم: الحمد لله رب العالمين.. ها قـد تخلصـت منهم جميعا.. وأنا الآن أشعر براحـة نفسـية لم أشـعر بها في حياتي.. لكن فقط بقي شيء يؤرقني.

المرجئ: وما هو؟

المجرم: لقد أخطأت مـرة، فصـفعت بعض إخواننـا من الفرقة الناجية.. وذلك قبل توبتي.

المرجئ: نعم هو خطأ كبير.. ولكن يمكنك أن تكفـر

1) مجموع الفتاوى: ج 22 ص236.

عنه بسهولة.. اذهب إليه واطلب منه أن يبرئ ذمتك.

المجرم: لقد ذهبت إليه لكنه رفض أن يفعل.

المرجئ: لا بد أن تفعل كل ما استطعت لإرضائه حتى لو كلفك ذلك الكثير من أموالك.. أنت تعلم أن هذه معصية متعدية، ولا تنفع فيها التوبة المجردة..

المجرم: لا بأس.. سأفعل ذلك.. وسيحضر اليوم مجلسنا.. ولعلك تشفع لي عنده، وأنا مستعد لأن أعطيه كل ما يرغب فيه.

بعد أن انتهى المجرم من بث كل اعترافاته للمرجئ ذهبوا إلى قاعة حفلات كبيرة في القرية، حيث كان الناس ينتظرون قدوم الداعية الكبير.. لكنهم فوجئوا بحضوره مع المجرم.. فأراد بعضهم أن ينفض من المجلس، فأخذ المرجئ مكبر الصوت، وطلب من الجميع البقاء، وأنه سيوضح لهم كل شيء.

تقدم بعضهم، وقال: إن الذي أمامك مجرم كبير خرب القرية، وقتل أهلها، وأفسد شبابها.

قال المرجئ: قلت لكم اصبروا.. فأنا أعلم ذلك كله.. وسأبين لكم النظرة الشرعية لمثل هذه المسائل.. فلا ينبغي أن نتعامل مع الدين بعقولنا وأهوائنا..

ثم أخذ يتحدث ويورد من أقوال السلف والخلف في حرمة أصحاب المعاصي ونجاتهم وكونهم أفضل من المبتدعة، ويربط كل ذلك بالدين وبالآخرة إلى أن اقتنع أكثر الناس من أن صاحبهم المجرم هو أولى بالقرية من غيره.. وأنه لا يصح أن يشتروا إلا من دكاكينه.. ولا أن ينتخبوا لرئاسة القرية سواه.. ولا أن يقوموا بأي أمور من أمورهم دنياهم ودينهم قبل

استشـارته.. وأن كـل من عارضـه لا ثقـة فيـه ولا في دينه، فلا يروى عنه الحـديث، ولا يسـمع منـه القـرآن، ولا تقام الصلاة خلفه.

وقد شكل هؤلاء حلفـا عظيمـا أثـار القلاقـل والفتن في القرية ممـا اضـطر حاكمهـا السـابق إلى التنـازل عن وظيفته حفظا للدماء، وقد اعتبر ذلك اليوم الـذي تنازل فيه يوم الجماعة..

ولا زلنا نحتفل به.. ولا نسـأل أنفسـنا: كيـف تنـازل ذلك التقي النقي الحكيم للمجرم؟ وأي أمـة سـمحت بذلك؟

لأننا دائما نتلقى إجابة واحدة من كـل الأبـواق الـتي نصـبها المجـرم بعـد توليـه، وهي أنـه: لـولا صـلاحية المجرم لتولي الحكم لما تنازل له الحكيم.

من أخطـر من وقـف بين أهـل الكتـاب والإيمـان برسـول اللـه ﷺ، ومـا جـاء بـه من هـدي صـنف من الـدعاة إلى جهنم يمكن تسـميتهم بالكـاتمين.. وهم الذين يسكتون وقت الحاجة لأن يتكلمـوا.. ويـترددون في وقت الحاجـة لأن يعزمـوا.. ويواجهـون الحقيقـة بصنوف التأويل في الوقت الذي ينبغي أن يكونوا أول من يناصرها ويدافع عنها، باعتبارهم أعرف الناس بها.

وقد ذكـر القـرآن الكـريم هـذا الصـنف، ومصـيرهم الذي يؤولون إليه، فقال: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَـاتِ وَالْهُـدَى مِنْ بَعْـدِ مَـا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} [البقـرة: 159]، وقال: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُـونَ مَـا أَنْـزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِـهِ ثَمَنًـا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَـا يَـأْكُلُونَ فِي بُطُـونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [البقرة: 174]

ومن تلك الدوافع التي ذكرها القرآن الكـريم بصـيغ متعـددة الحسـد، قـال تعـالى: { أَمْ يَحْسُـدُونَ النَّاسَ عَلَى مَـا آتَـاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْـلِهِ فَقَـدْ آتَيْنَـا آلَ إِبْـرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا } [النساء: 54، 55]

فأولئك الكـاتمون الجاحـدون أرادوا من فضـل اللـه وكتابـه وحكمتـه أن يكـون في المحـل الـذي يحبـون، وفي القبيلـة الـتي يرغبـون جـاهلين أن { اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ } [الأنعام: 124]

وقـد كـان قـدوتهم في ذلـك إبليس الـذي رفض السجود لآدم حسدا وكبرا.. لأنه كان في نفسه يشـعر أنـه الأفضـل والأكـبر والأكـثر علمـا والأكـثر إشـراقا..

ونسي أن الله هو الذي يحدد كل ذلك، وأنه ليس على العبد إلا الانصياع التام لما يريد الله.

وقد بقي هذا الاختبار ساريا في كل الأزمنة منذ إبليس، ومنذ بني إسرائيل إلى أن طرق أبواب هذه الأمة، تبعا لسنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير.

وسأحكي لكم قصة عن قريتنا الجميلة المتواضعة، وكيف استطاع الكاتمون الحاسدون أن ينحرفوا بها، ويمنعوها من السجود للحق الذي وصلت إليه، ويعطوها بدله حقا مزيفا مختلطا ملأ حياتنا وحياة كل من حولنا بالصراع والألم..

في ذلك الحين أشرقت أنوار الحقيقة الجميلة على فتية طاهرين من القرية راحوا يبحثون في بطون الكتب، وينقبون في أسفار التاريخ إلى أن وجدوا لب المشكلة، وجرثومة الفساد، ومنبع الخطيئة، فراحوا يذكرون بها، ويدعون لها، ويبينون للناس أن رسول الله ﷺ ما خرج من الدنيا إلا بعد أن بلغ كل ما أوحي إليه، ودلنا على الصراط المستقيم، ووضح لنا معالمه وسماته وأسسه والقائمين عليه.. وأن الانحراف ما دب للأمة إلا بعد أن أعرضت عن ذلك كله، واختارت لنفسها من تريد بدل أن تسلم لله ما يريد..

في ذلك الحين هب الملأ من رقدتهم، وأحسوا بأن عروشهم ستسقط لو استمر الأمر على ذلك، فلذلك أسرعوا إلى رجل هو أشبه الناس بالكاتمين من بني إسرائيل.. جيء به إلى القرية، وطلب منه أن يجري مناظرة مع شاب من شباب القرية، كان الجميع يحترمه لما يراه منه من سلوك طيب، ودين عميق.. ولكن الملأ فوجئوا به، وهو يحدث الناس عن الحكمة وبابها، وعن نهج البلاغة والمعاني العميقة التي يتضمنها، وقد مروا على بيته فسمعوه مع رفاق له يسمعون خطبة المتقين من نهج البلاغة، وهي تصور

الشخصية المسلمة في قمة كمالها وجمالها، فازداد حنقهم وغضبهم، لكنهم لم يملكوا أن يفعلوا شيئا، فالشاب والشباب الذين اتبعوه كانوا أبناء لأعيان القرية، ومن أهل الفضل فيهم، ولهم تاريخ مشهود لا يستطيعون تجاوزه..

لذلك لجأوا إلى الحيلة التي استفادوها من أصحاب السبت، ومن تبعهم من سلفهم الصالح.. فأحضروا هذا الداعية ليقضي على البينات التي كان من خلالها يبث الشباب المتنورون تقويمهم لما اعوج من الدين.

سأحكي لكم بعض ما جرى، واحكموا بما تروه:

الكاتم: أنا في العادة قبل أن أبدأ أي حديث لي مع أي جهة أقدم رسول الله ﷺ.. فهو رسولنا، ولا ينبغي أن نتجاوزه، ولا أن نقدم حديثنا على حديثه..

ولعل أهم حديث أحتاج إلى إيراده لك يا بني أنت ومن معك لتعدلوا عن السبيل الذي سلكتموه هو ما أسميه حديث (الصراط المستقيم)، وهو صحيح رواه أحمد والنسائي والدارمي وغيرهم عن ابن مسعود قال: خط لنا رسول الله ﷺ يوما خطا فقال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطا عن يمين الخط ويساره وقال: هذه سُبل، على كل سبيل منه شيطان يدعوه، ثم تلا: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: 153] يعني الخطوط التي عن يمينه ويساره.. فهذا الحديث يبين لنا أن سبيل الحق واحد، وسبل الشيطان متعددة، وأن الحق قد يختلط بالباطل حتى يتوهم الناس أنه الحق.

الشاب: بورك فيك سيدنا.. ونحن معك في هذا، بل لم نبحث فيما بحثنا فيه إلا لحرصنا على هذا، فقد خشينا أن نكون من الذين سلكوا طرق الغواية، وهم

يظنون أنهم سلكوا طرق الهداية..

الكاتم: لقد وضح رسول الله ﷺ طريق الهداية بوضوح عندما قال في الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: (من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي)، وفي بعض الروايات: هي الجماعة.. وهذا يدل على أن الالتزام بمنهج الصحابة وأقوالهم والرجوع لأي واحد منهم كفيل بضمان السير على الصراط المستقيم.

الشاب: بورك فيك سيدنا، ولو أن هذا الحديث فيه إشكالات كبيرة من جهة سنده، وقد بحثنا في ذلك فوجدنا أن مداره على محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي، ومن قرأ ترجمته في (تهذيب الكمال) للمزي وفي (تهذيب التهذيب) لابن حجر علم أن الرجل متكلم فيه من قبل حفظه، وأن أحدًا لم يوثقه بإطلاق، وكل ما ذكروه أنهم رجحوه على من هو أضعف منه.. وهذا يقتضي منا الحذر، والبحث من جديد لعلنا نجد وصايا أخرى نتعلق بها للتحقق بماهية الصراط المستقيم الذي حض عليه رسول الله ﷺ، والذي ينسجم مع المنطق والعقل والحكمة.

الكاتم:ما تعني؟

الشاب: نحن في العادة إذا غاب عمدة القرية ترك من يخلفه فيها.. ولا يقول لأهل القرية جميعا: كلكم خلفائي إلا إذا كان على سبيل المجاز.. أما الحقيقة فإنه لا يمكن أن ينتظم أمر دين الناس أو تنتظم وحدتهم، وهم يجدون من يدلهم على السبل

المختلفة..

إن رسول الله ﷺ يدعونا إلى التزام صراط واحد.. وما ذكرته من الرجوع لأي صحابي لن ينشأ عنه إلا الخلاف والفرقة وتفتت الأمة.. هذا هو المنطق.. لأن كل شخص ولو رأى رسول الله ﷺ مرة واحدة، ولو لم يفقه من الدين شيئا يصبح له من الغرور ما يزعم لنفسه به أنه أعلم من الدين من السابقين الذين رباهم رسول الله ﷺ على عينه.

الكاتم: لا يؤخذ الدين يا بني بالعقل.. بل يؤخذ من النصوص المعصومة..

الشاب: لدي بحمد الله منها الكثير.. وأنا ما دعوت إلى ما دعوت إليه إلا بعد البحث والنظر المعمق فيها سندا ومتنا، وغير ذلك.. فوجدتها كلها متعاونة في تحقيق ذلك.

الكاتم: فهلم بها.

الشاب: لقد وردت الوصايا الكثيرة من رسول الله ﷺ بأهل بيته الذين حددهم بدقة متناهية، واعتبرهم متمسكين بحبل الله، وأنهم لن يتركوه أبدا، فقد ورد في الحديث المتواتر: (إنّي تركت فيكم ما إنْ تمسّكتم به لنْ تضلّوا بعدي : كتاب اللّه حبلٌ ممدودٌ مِن السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولنْ يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)[1]

الكاتم: الحديث ليس مرويا هكذا.. إنما الحديث هو: (إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما أبداً كتاب الله وسنتي)

1) الحديث متواتر، وقد ورد بصيغ كثيرة رواه أحمد ومسلم والترمذي وغيرهم، وقد نص الألباني على صحته انظر حديث رقم : 2458 في صحيح الجامع.

الشـاب: أنتم تقـدمون عـادة الحـديث الأصـح على الحــديث الصــحيح.. فكيــف بكم تقــدمون الحــديث الضعيف على الحديث المتواتر؟

الكاتم: ما تقول؟

الشاب: إن الحديث الذي ذكرته ضـعيف، وقـد رواه مالك بلا سند، ومثله لا يحتج به.

الكاتم: لا بـأس.. ولكن الحـديث الـذي ذكرتـه، وإن كان متواترا، فهو لا يدل على ما تريده منه.. هو فقط يــدعو إلى الاهتمـــام بهم ومحبتهم دون اعتبـــارهم أوصياء على الدين، أو حافظين للصراط المستقيم؟

الشاب: أنا لم أجد ذلك الحديث فقط.. بـل وجـدت أحاديث كثيرة كلهـا تؤكـد تلـك الوصـية، وهي منقولـة بالتواتر، لقد ورد في الحديث بعد عودته ﷺ من حجــة الـوداع، ووصـوله إلى مكـان يسـمى غـدير خم قـرب الجحفة جنوب المدينة.. هناك أمر الحجاج الذين معــه بالتوقف ، وعددهم حوالي عشرة آلاف من الصـحابة، وفيهم صــفوتهم من المهــاجرين والأنصــار.. ثم أمــر بانتظار المتـأخرين من النـاس ورد من فـات عن هـذا الموضع.. حتى عاد الفائت ووصـل المتـأخر ثم خطب مودعاً، فحمد الله، وأثـنى عليـه، ثم قـال :(أمـا بعـد.. أيها الناس إنما أنا بشر يوشك ان يـأتيني رسـول ربي عــز وجــل فــأجيب، وإني تــارك فيكم ثقلين: أولهمــا كتاب الله عز و جل فيه الهدى والنـور فخـذوا بكتـاب الله تعـالى واستمسـكوا بـه.. فحث على كتـاب اللـه ورغب فيه.. [ثم] قال: وأهـل بيـتي أذكـركم اللـه في أهل بيتي.. أذكركم الله في أهل بيـتي.. أذكـركم اللـه في أهل بيتي)، ثم قال: (ألست أولى بـالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا بلى! قال من كنت مولاه فعلى مولاه،

اللهم وال من والاه وعاد من عـاداه)(1).. هـل تتصـور أن كل هذه التوجيهات والإعدادات من أجل أن يطلب من النـاس محبتهم.. أم أن الأمـر لـه علاقـة بالـدين والسلوك والحياة جميعا؟

الكاتم: أنت لا تعلم موقف شيخ الإسـلام ابن تيميـة من الحـديث الـذي ذكرتـه، فقـد ضـعف قسـمه الأول (من كنت مولاه فعليٌّ مولاه)، وحكم بالوضع والكذب على قســمه الثــاني اللهمّ والِ مَن والاه وعـــادِ من عاداه)(2).. وبذلك سقطت حجتكم.

الشـاب: ليس بالسـهولة تسـقط الحجج يـا شـيخ.. فعلم الحديث واسع.. ولا تكفي فيه مقولة ابن تيمية.

الكاتم: ألم تسمع ما قال العلماء في شيخ الإسلام، وأن من علامات وضع الحديث عدم معرفته به.

الشاب: بلى سمعت بـذلك.. ولكـني سـمعت أيضـا من ابن حجـر قولـه: (طـالعت الـردّ المـذكور [يعـني: منهاج السـنّة لابن تيميـة] لكن وجدتـه كثـير التحامـل إلى الغاية في ردّ الأحاديث التي يوردها ابن المطهـر، وإن كـان معظم ذلـك من الموضـوعات والواهيـات، لكنّه ردّ في ردّه كثـيراً من الأحـاديث الجيـاد الـتي لم يستحضر حالة التأليف مظانّها، لأنّه كان لاتّسـاعه في الحفـظ يتّكـل على مـا في صـدره، والإنسـان عامـد للنسيان، وكم من مبالغة لتوهين كلام الرافضـي أدتـه أحياناً إلى تنقيص علي رضي الله عنه)(3)

الكاتم: ابن حجر أشعري فيه ميول صـوفية.. لـذلك لا يؤتمن على الحديث.

---

1) الحديث ورد بصيغ كثيرة وهو متواتر ومـروي في كثـير من كتب السنة.

2) منهاج السنة: 7 / 319.

3) لسان الميزان: 6/319ـ 320.

الشاب: فما تقول في الألباني؟

الكـاتم: هـو نعم الرجـل.. هـو تلميـذ شـيخ الإسـلام النجيب.

الشاب: فقد صحّح الألباني الحـديث بجزئيـه، وقـال بعـدها: (قـد كـان الـدافع لتحريـر الكلام عن الحـديث وبيان صحّته أنّـني رأيت شـيخ الإسـلام ابن تيميـة قـد ضعّف الشطر الأوّل من الحديث، وأمّا الشـطر الآخـر فــزعم أنّــه كــذب!! وهــذا من مبالغتــه الناتجــة في تقـديري من تسـرعه في تضـعيف الأحـاديث قبـل أن يجمع طرقها ويدقّق النظر فيها، والله المستعان)(1)

الكاتم: حتى لو فرضنا صحته، فليس فيـه أي مزيـة لعلي على غيره، حتى يتبع من دونهم، لقد قال

الشاب: لا بأس.. فقد ورد في حديث آخـر مـا يـبين أن لعلي منزلة خاصة من رسول الله ﷺ توازي منزلة هارون من موسـى، ففي الحـديث الـذي رواه مسـلم عن سـعد بن أبي وقـاص، قـال: أمـر معاويـة بن أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تسـبّ أبـا الـتراب؟ فقال: أمّا ما ذكرتُ ثلاثاً قالهنّ له رسول الله ﷺ فلن أسبّه، لَاَن تكون لي واحــدة منهنّ أحبّ إليّ من حُمـر النعم، سمعت رسول الله ﷺيقـول لـه ــ وقـد خلفـه في بعض مغازيـه ــ فقـال لـه علي: يـا رسـول اللـه خلّفتَني مع النساء والصـبيان؟ فقـال لـه رسـول اللـه ﷺ: أمــا ترضــى أن تكــون منّي بمنزلــة هــارون من موسى إلاّ أنّه لا نبوّة بعدي؟

وسمعته يقول يوم خيبر: (لأُعطين الراية رجلاً يحبّ اللـه ورسـوله ويحبّـه اللـه ورسـوله)، فتطاولنـا لهـا، فقال: ادعوا لي عليّاً; فأُتي به أرمد، فبصق في عينــه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه.

---

1) الأحاديث الصحيحة: 4/330، الحديث 1750.

ولمّا نـزلت هـذه الآيـة: (فَقُـلْ تَعَـالَوْا نَـدْعُ أَبْنَاءَنَـا وَأَبْنَـاءَكُمْ)دعـا رسـول اللـه ﷺ عليـاً وفاطمـة وحسـناً وحسيناً، فقال: اللهم هؤلاء أهلي)

الكـاتم: كـل ذلـك لا شـيء.. هي مجـرد تطييبـات لخاطره لأن بعض النـاس كـانوا يؤذونـه، فـراح يـدافع عنه.. لو قـرأت كتب شـيخ الإسـلام لفهمت سـر كـل حديث من تلك الأحاديث.

الشـاب: ولكن تلـك الأحـاديث واضـحة جيلـة، وهي كلان نبي لا ينطق عن الهوى.

الكاتم: لا بأس.. فلنسلم لك بتلـك الأحـاديث.. لكن فضائل علي كفضائل لغيره من الصحابة.. بل ورد في غيره من الفضائل ما لم يرد فيـه.. فلم تعمي بصـرك عنها؟

الشاب: ما تقول في الإمام أحمد بن حنبل هـل هـو رافضي، أو لديه ميول رافضية؟

الكاتم: ويلك يا رجل.. الإمـام أحمـد هـو إمـام أهـل السنة، شتان ما بينه وبين الرفض.

الشاب: ولذلك سـأدعه ليجيبـك هـو عن مسـألتك.. لقد قـال، وهـو المحـدث الجليـل: (مـا جـاء لأحـد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما جـاء لعلي)(1)، وعن عبـد اللـه بن أحمـد بن حنبـل قـال: سـألت أبي فقلت: ما تقول في علي ومعاوية؟ فـأطرق ثم قـال: (إيش أقول فيهما؟إنّ علياً كـان كثـير الأعـداء، ففتش أعداؤه له عيباً فلم يجدوا، فجاءوا إلى رجل قد حاربه وقاتله فأطرَوه كياداً منهم له)(2)

وقد علق ابن حجـر على هـذا بقولـه: (فأشـار بهـذا

(1) المستدرك على الصحيحين:3/107..

(2) الموضوعات لابن الجوزي: 2/24..

إلى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل ممّا لا أصل لـه، وقد ورد في فضائل معاوية أحـاديث كثـيرة لكن ليس فيها ما يصحّ من طريق الإسناد، وبذلك جـزم إسـحاق بن راهويه والنسائي وغيرهما)(1)

لم يجد الكاتم ما يقول إلا أنه وجد مـا يفعـل.. لقـد ذهب إلى المحل الذي يجتمع فيـه أهـل القريـة، وراح يحكم بالتكفير والضـلال والبدعـة على الشـاب، وكـل من اتبعه، ويأمر الملأ بالحزم معهم، وألا تكف المنـابر عن سبهم ولعنهم.. وقد استند في كل ذلك إلى فعـل سلفه الصالح.

وقـــد أصـــاب الشـــاب وإخوانـــه من المتنـــورين المتحررين ما أصابهم من أنواع البلاء الذي جعله اللـه ضريبة على من يحب أهل بيت النبي ﷺ.

---

1) فتح الباري:7/104.